التوظيف السياسي للصراع بين سارة وهاجر وانعكاسه في الشعر العبري الحديث

أ. منة الله زين العابدين أبو خضرة (*)

مقدمة

لجأت الكثير من الآداب إلى استدعاء شخصياتها التراثية في حالات معينة وعصور معينة، فتعكس في نتاجها الإبداعي بأصنافه وأنواعه عناصر تكوين هذه الشخصيات وقيمها وسلوكها في المواقف المختلفة. وباتت هذه الشخصيات معينًا ينهل منه الأدباء، فيستمدون منه ما يعينهم على تثبيت القيم التراثية في واقعهم الجديد الذي قد تطرأ عليه بعض المتغيرات. وشكَّل استدعاء هذه الشخصيات في الإبداع الأدبي ظاهرة تستوجب الوقوف عندها بالدراسة والتحليل، وبيان سلبياتها وإيجابياتها.

وسار الشعر العبري الحديث والمعاصر على هذا النهج من الاستدعاء الذي اتخذ اتجاهين رئيسيين

١) البحث عن مخرج لأزمات الجماعات اليهودية بتنوعها الديني والفكري، ومحاكاتها للشخصيات الدينية والتراثية على تنوع صفاتها واختلاف طبائعها، فاستدعى الشعراء تلك الشخصيات للتعبير عن كل ما يدور حولهم من أحداث أو تطورات سياسية واجتماعية ونفسية.

٢) توظيف هذا الموروث توظيفاً سياسياً بما يخدم الأهداف الصهيونية، وبخاصة قضية الصراع الإسرائيلي العربي الذي تبوأ – ولا يزال – مكان السبق على الساحة

* – مدرس مساعد بقسم اللغات الشرقية –كلية الآداب – جامعة القاهرة.

الأدبية، باعتبار أن السمة الأساسية التي تميز الأدب العبري الحديث بشكل عام أنه أدب حرب، حتى إن تعددت أغراضه ومضامينه وشكل الصياغة، فلجأ شعراء العبرية إلى الشخصيات التراثية، ونهلوا منها ما يعينهم على التعبير عن هذا الصراع من منظور يتفق مع الفكر الصهيوني واتجاهاته.

٣) ربط اليهودي بتراثه بشكل دائم، لأن التذكير المستمر بهذا التراث هو الأساس الذي ارتكزت عليه إقامة إسرائيل منذ البداية وحتى الآن.

لقد أوقف بعض المؤرخين والمحللين ورجال السياسة الصراع الإسرائيلي العربي على النطاق السياسي والاستعماري – وقد يكون هذا صحيحاً من أوجه عدّة – ولكن ما ينبغي التأكيد عليه هو أن الجزء الأشمل من الصراع يرتبط بالدين إلى حد كبير. والأدلة على ذلك كثيرة للغاية، يأتي في مقدمتها عقيدة الاختيار والإحساس بالتفوق التي تمكنت من الشخصية الإسرائيلية، وجعلتها تنظر للآخر بشكل دوني، مما أدى إلى الصدام الحاد بين الجماعات اليهودية في كل البلاد والشعوب التي عاشوا بينها وعلى امتداد كل العصور، هذا بالإضافة إلى فرضية "الوعد" بميراث أرض فلسطين وما يترتب عليه من حشد القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية لتحقيقه بصرف النظر عن الحقوق العربية وعن القوانين الدولية.

لم تتردد الصهيونية منذ نشأتها وحتى الآن في التوظيف السياسي للدين، بهدف الوصول إلى السلطة وإقامة الدولة، ولجأت في ذلك إلى استثارة المشاعر الدينية لدى الجماعات اليهودية، فضلاً عن استدرار عطف المجتمع الدولي احترامًا للموروثات الدينية، وحين تحقق لها الهدف وأُقيمت الدولة بحثت عن مدخل آخر للتوظيف السياسي للدين من خلال تفاسير أخرى تتماشى مع الهدف الجديد. وهو أمر يثبت في عمومه أن الغاية عندهم تبرر الوسيلة حتى ولو كانت خداعًا وتضليلًا. ومما يؤكد ذلك أن الصهيونية سعت – بعد إقامة الدولة – إلى فصل الدين عن الدولة، وإقامة سلطة علمانية شاملة، وهو ما أدي إلى تفاقم الصراع بين العلمانية والدين في المجتمع الإسرائيلي. وفي هذا الإطار يقول محمد

خليفة حسن "قامت العلاقة بين الصهيونية واليهودية على أساس استغلال الأولى للثانية، فالصهيونيون عادة ما يلجأون إلى اليهودية لاستخدام بعض رموزها ومضامينها في دعايتهم بين الأوساط اليهودية وغير اليهودية، بحثاً عن تأييد الجماعات اليهودية والمجتمع الدولي لها في وقت واحد، فأشاعت أن السبب الرئيسي لما يُسمى بـ "المعاداة للسامية" هو ما يسمى بـ "النقاء العرقي" الذي حافظت عليها الجماعة اليهودية! كما أشاعت أيضاً أن السبب فيما يسمى بـ"المعاداة لليهودية" هو العداء الديني الذي نشأ في قلوب "الأغيار" تجاه هذه الجماعة بسبب الأفضلية التي منحها الرب لـ "شعبه" عن بقية الشعوب".[١]

ومع التحفظ الكامل على كل هذه المصطلحات الصهيونية، إلا أننا بصدد الكشف عن كيفية استغلال الصهيونية لها وتوظيفها سياسيًا وتأويلها حسبما يريدون، عملاً على ترسيخ الادعاء بـ"الحق الديني والتاريخي" لليهود في فلسطين، وهو ما استطاعت الصهيونية أن تخدع به الجماعات اليهودية والمجتمع الدولي على السواء في واحدة من أكبر عمليات التضليل وتزوير الحقائق التاريخية والاستهانة بإنسانية الإنسان وحشو العقلية اليهودية بمشاعر الحقد والاحتقار للآخرين.

وإذا كان أحد أسمى أهداف الأدب – أي أدب – هو تنوير الفرد والمجتمع والكشف عن المبادئ النبيلة والقيم الإنسانية العليا من خلال كل الصنوف الأدبية من شعر ونثر، إلا أن الأدب العبري الحديث والمعاصر خرج عن هذا الإطار تماماً، فقد أسلم نفسه للحركة الصهيونية توجهه كيفما شاءت، فأصبح رأس الحربة في كل قضايا الصراع التي خاضتها في تاريخها بداية من ١٨٩٧ وحتى الآن، وللأسف استطاع هذا الأدب القائم على عنصرية الفكر والتوجهات تحقيق مآربه في التضليل والخداع، وبات إحدى الوسائل المهمة في تحقيق الأهداف الصهيونية، وتحددت مواقف أدباء العبرية في عدد من الاتجاهات منها:

١) إلغاء الآخر "الأغيار" والتقليل من شأنه.

٢) الإعلاء من شأن الوجود اليهودي دينيًا وعلمانيًا، وجعله دائمًا في وضع التفوق والأفضلية.

٣) الاتهام الدائم للمجتمع الدولي بأنه يضمر حقداً على الجماعة اليهودية، وانعكاس ذلك فيما يسمى "العداء للسامية".

وإذا كان الكثير من المحللين قد أشاروا إلى أن الصراع الإسرائيلي العربي يتأسس على عوامل استعمارية وصهيونية، فإنه مما لا شك فيه أن هناك الكثير من القرائن التي تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن جزءاً غير قليل من هذا الصراع قائم على أسباب دينية وعقائدية تعود إلى عقيدة الاختيار وما يترتب عليها من نتائج أدت إلى شعور الشخصية الإسرائيلية بالتفوق من جانب، وإلى النظرة الدونية للآخر من جانب ثانٍ، وهو ما يهتم به هذا البحث.

ويأتي الصراع بين سارة שרה وهاجر הגר في رواية العهد القديم واحدًا من أصدق ما يعبر عن هذا التوظيف السياسي للدين في إدارة الصراع الإسرائيلي العربي، حيث نظر شعراء العبرية لسارة باعتبارها رمزًا لبني إسرائيل، فهي الأم الأولى من بين أمهات بني إسرائيل الأربع (سارة ورفقة רבקה وراحيل רחל وليئة לאה) وزوج إبراهيم، وأم إسحق عليهما السلام، ومن نسلها انحدرت الأسباط الاثنا عشر لبني إسرائيل، بينما نظر شعراء آخرون إلى هاجر باعتبارها رمزًا للعرب وللعروبة، فهي أم إسماعيل عليه السلام الذي ورد في الموروث باعتباره "جد العرب".

من هنا وظَّف شعراء العبرية الصراع بين سارة وهاجر لطرح آرائهم – بشكل رمزي – في الصراع الإسرائيلي العربي، فربطوا بين ماضي الصراع وحاضره، في محاولة لإثبات صحة زعمهم بأحقيتهم في الأرض من ناحية، وللإثبات الأفضلية والاختيار من ناحية أخرى من خلال التوظيف الصهيوني للدين وللتراث.

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على المعالجة الشعرية للصراع بين شخصيتي سارة وهاجر دون انتقاص من رواية العهد القديم أو التعليق عليها سلباً أو إيجاباً، فليس هذا موضوع البحث، بل سينحصر النقاش حول التوظيف السياسي الصهيوني لهذه الرواية من خلال الشعر العبري الحديث والمعاصر، والعمل على تحليل الرمز الشعري وإزالة أي لبس أو غموض ناتج عن فهم القصائد، بالإضافة إلى ربط القصيدة بالفترة التاريخية التي نظمت

خلالها، للوقوف على الأسباب الأساسية التي دفعت الشاعر لاستدعاء كل من شخصيتي سارة وهاجر في تلك الفترة الزمنية تحديدًا.

وفي هذا الإطار تمت الاستعانة بعدد من القصائد التي تعرض للصراع بين شخصيتي سارة وهاجر في إشارة إلى الصراع الإسرائيلي العربي، وذلك في ضوء عدد من الرؤى المختلفة لجذور الصراع وآلياته ودوافعه ونتائجه التي تأثرت بالوضع الأدبي التي نظمت القصائد خلاله من ناحية، بالإضافة إلى الخلفية الدينية والثقافية لكل شاعر من ناحية أخرى.

تساؤلات البحث

ينطوي البحث من عدد من التساؤلات التي تقوم الدراسة عليها، ومن أهمها :

١) كيف ربط شعراء العبرية بين الصراع الإسرائيلي العربي في العصر الحديث من جانب، والصراع بين سارة وهاجر في العهد القديم من جانب آخر؟

٢) ما مدى اتفاق أو اختلاف الشعراء مع رواية العهد القديم؟ وكيف اختاروا منها ما يخدم أهدافهم الخاصة من كتابة القصيدة؟

٣) كيف تراوحت صورة كل من سارة وهاجر في الشعر العبري الحديث بين الصورة الإيجابية والسلبية؟ وما مبعث كل صورة منها لدى الشعراء؟ وكيف ربط الشعراء بين هاتين الصورتين وبين الصراع الإسرائيلي العربي في العصر الحديث؟

٤) كيف استغلت الحركة الصهيونية قصة الصراع بين سارة وهاجر في الترويج لأفكار صهيونية بحتة وانعكاس ذلك في الشعر العبري الحديث؟

٥) كيف استغل الشعراء شخصيتي سارة وهاجر في التعبير عن قوة المرأة واستقلال شخصيتها؟

٦) كيف وظف الشعراء الرمز في تناولهم للصراع بين سارة وهاجر في أشعارهم؟

٧) هل قدم الشعراء شخصيتي سارة وهاجر في صورتهما التقليدية أم أنهم خرجوا عن هذا الإطار إلى إطار آخر تخيُّلي؟

٨) ما مدى تأثير النشأة والخلفية الثقافية والدينية لكل شاعر في تناوله للصراع بين سارة وهاجر؟

٩) كيف استغل الشعراء قصة طرد سارة لهاجر في تبرير كل التجاوزات التي تحدث على الساحة السياسية الإسرائيلية في العصر الحديث ؟

منهج البحث

يعتمد البحث على عدد من المناهج البحثية منها: المنهج التحليلي النقدي، والمنهج النفسي، والمنهج التاريخي، والمنهج الجمالي.

سوف يتم الاستعانة **بمنهج التحليل النقدي** عند تحليل المضمون الفكري للنماذج الشعرية المختارة بهدف الحصول على صورة مكتملة، توضح الرؤى المختلفة التي تناول بها شعراء العبرية الصراع الإسرائيلي العربي من خلال استدعائهم للصراع بين شخصيتي سارة وهاجر في الشعر العبري الحديث، مع الاعتماد على **المنهج النفسي** في توضيح مدى تأثير الحياة الشخصية والخلفية الدينية لكل شاعر عند تناوله لهذا الصراع في عمله الأدبي، فضلا عن الغوص في الأعماق النفسية لكل من هاجر وسارة وانعكاسها على الوضع النفسي للشخصية العربية من جانب والشخصية الإسرائيلية من جانب آخر، وستعتمد الدراسة أيضًا على **المنهج التاريخي** حسب الأحداث التاريخية الواردة في البحث، كما ستتم الاستعانة **بالمنهج الجمالي** في تحليل بعض الدلالات البلاغية لبعض المفردات في الأشعار محل الدراسة.

ولما كان البحث يهتم بشكل أساسي بتوضيح كيفية استغلال شعراء العبرية للصراع بين شخصيتي سارة وهاجر في التوراة بغرض التعبير عن قضايا سياسية حديثة ومعاصرة، فقد استلزم ذلك عرضاً لنبذة عن الخلفية الدينية والتاريخية الخاصة بهاتين الشخصيتين وبداية قصة الصراع بينهما في رواية العهد القديم؛ حتى يتضح للقارئ الإسقاطات التي قام بها شعراء العبرية بين أحداث رواية العهد القديم من ناحية وبين ما عبروا عنه في نتاجهم الأدبي

من ناحية أخرى، وكيفية تعبير شعراء العبرية عن وجهات نظرهم المختلفة تجاه الصراع الإسرائيلي العربي، كلٌ حسب رؤيته الخاصة وخلفيته الدينية وظروف عصره.

أولًا) الخلفية الدينية والتاريخية للصراع بين سارة وهاجر

وردت قصة سارة وهاجر في العهد القديم وأغلبها ورد في سفر التكوين[٢]، كما وردت أجزاء أخرى في سفر إشعيا[٣]، ووردت أجزاء أخري متفرقة في العهد الجديد[٤]. وتتبوأ سارة مكانة عظيمة عند اليهود، إذ يعتبرونها مثالًا للأمومة والتقوى، فهي الأم الأولى من بين أمهات بني إسرائيل الأربع، كما أنها زوج إبراهيم، الأب الأول من بين آباء بني إسرائيل الثلاثة، وهي أيضًا أم إسحاق – الأب الثاني[٥]، كما أنها تعتبر أساس نسل الجماعات اليهودية طبقًا لرواية العهد القديم.

تبدأ قصة سارة في سفر التكوين ١١:٢٩، باعتبارها زوجة إبراهيم التي ترافقه في رحلاته المختلفة التي أمره بها الرب، حيث كانا يعيشان سويًا في مدينة أور[٦] حياة سعيدة وطبيعية، وحين أمر الرب إبراهيم بضرورة مغادرة المدينة التي كان يستقر فيها مع عائلته والمضي قدمًا دون أن يحدد له الرب وجهة محددة، امتثل إبراهيم لأمر الرب، وارتحلت معه سارة إيمانًا منها بأن الرب سيحافظ عليهم وسيحقق لهم الوعد بأن يكون إبراهيم أبًا "لأمة عظيمة"، كما رافقه عدد قليل من أفراد أسرته، وبدأت رحلتهم من أور الكلدانيين إلى حاران، ثم انتقلوا بعد فترة من الزمن إلى أرض كنعان، حيث جاء إبراهيم إلى شكيم وأقام خيمته بين "بيت إيل" غربًا و"عاي" شرقًا، وهناك بنى مذبحًا للرب، ثم انتقلوا إلى مصر بعد ذلك.

استغرقت هذه الرحلة سنوات كثيرة، وعلى الرغم من مشقة الرحلة ومعاناتها إلا أن العلاقة بين سارة وإبراهيم بقيت قوية كعهدها، ولم يعكر صفو حياتهما إلا شيء واحد فقط، هو قضية الإنجاب، فقد كانت سارة امرأة عاقرًا لا تنجب، بل إن أول ذكر لسارة في العهد القديم وُصفت فيه بأنها كانت عاقرًا "وَكَانَتْ سَارَايُ عَاقِرًا لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ"[٧]، وخلال الرحلة بدأت سارة تفقد الأمل تدريجيًا في الإنجاب مما يعوق تحقيق وعد الرب لإبراهيم بأن يكون أبا لأمة عظيمة، فكانت تؤمن في داخلها أنها ليست الأم المقصودة لهذه الأمة، لذا قدمت

سارة تضحيتها الكبرى في سبيل تحقيق أمر الرب، فعرضت على إبراهيم الزواج من جاريتها المصرية هاجر[٨]. وكان هذا أمرًا شائعًا إبان تلك العصور، حيث إنه كان من الواجبات الأساسية للمرأة إنجاب الأبناء لزوجها، فإن لم تستطع فعليها بأن تتصرف لتحل هذه المشكلة، خاصة وأن المرأة التي لم تنجب كان ينظر إليها باعتبارها اقل شأنًا وتقديرًا عن غيرها من النساء.[٩]

لم يرد في رواية العهد القديم كيف دخلت هاجر حياة إبراهيم وسارة. واجتهد المفسرون في ذلك، فمنهم من رأى أنها بيعت عن طريق أبويها إلى إحدى القوافل المارة في الصحراء فاشتراها إبراهيم لتصبح جارية لسارة[١٠]، ومنهم من رأى أنها ربما كانت هدية من فرعون إلى إبراهيم أثناء مغادرته لمصر[١١]، وأيًا كان التفسير فقد استمع إبراهيم إلى اقتراح زوجته وامتثل لأمر الرب وتزوج من هاجر.

بدأت القصة تأخذ مسارًا مختلفًا مع دخول هاجر حياة إبراهيم وسارة، فمن خلال القصة التوراتية يبدو للقارئ أن العلاقة بين سارة وهاجر كانت علاقة طبيعية لا تشوبها شائبة حتى اتخذت سارة هذا القرار، خاصة وأن هاجر سرعان ما حملت، وطبقًا للرواية التوراتية تغيرت مشاعر هاجر تجاه سيدتها سارة مع هذا الحمل، حيث أصبحت تعاملها بشكل أقل احترامًا وتقديرًا، فسارة لم تستطع الإنجاب، بينما رزقت هاجر بذلك، مما جعلها تنظر لنفسها كامرأة أعلى شأنًا وأهميةً عن سيدتها.

وقد اختلفت مواقف المفسرين والعلماء تجاه هذه القضية، فاتفق البعض مع رواية العهد القديم التي وصفت هاجر بشكل سلبي، واختلف البعض الآخر مع هذه الرواية، فرأى أن غيرة سارة هي التي أدت إلى هذا العداء بين الاثنتين، حيث شعرت أنها أقل أهمية من جاريتها، ولم تستطع أن تخفي ما تشعر به تجاه العلاقة التي تقوى بين إبراهيم وهاجر يومًا بعد يوم، ناهيك عن غِيرتها كامرأة عجوز تفقد جمالها تدريجيًا أمام امرأة شابة جميلة مفعمة بالحيوية والنشاط، وسواء اتفقنا أم اختلفنا مع رواية العهد القديم، وسواء كان هذا سبب العداء أم ذاك، فقد ذُكر في رواية العهد القديم ذاتها أن سارة انفجرت فجأة معبرةً عن

استيائها من الموقف، فطلبت من إبراهيم طرد هاجر من المنزل، فذكَّرها إبراهيم بحقوقها وقال لها إن هاجر جاريتها وحدها، وأن لها الحق الكامل في حرية التصرف معها كيفما شاءت "فقال إبراهيم لساراي، هذا جاريتك في يدك، افعلي بها ما يحسن في عينيك"[١٢]، فأعربت سارة لهاجر عن غضبها الشديد من تصرفاتها وعدم احترامها لسيدتها فهربت هاجر إلى الصحراء خوفًا منها، وهناك التقت بملاك الرب الذي أُرسل لها ليدعوها إلى العودة وليبشرها بأنها ستلد ولدًا يُدعى إسماعيل "فقال لها ملاك الرب تكثيرًا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة، وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنًا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك"[١٣]، فعادت هاجر مرة أخرى إلى بيت إبراهيم لتلد إسماعيل وتحقق بذلك حلم إبراهيم – الذي كان عمره آنذاك ستًا وثمانين سنة – بأن يكون أبًا ويستجيب للأمر الإلهي.

بقي الحال كما هو عليه فترة من الزمن إلى أن بلغ إبراهيم من العمر تسعة وتسعين عامًا حين بشره الرب بأن سارة ستلد له طفلًا، لم يصدق إبراهيم الأمر في البداية، وأخذ يتساءل في داخله كيف له في مثل هذه السن أن يصبح أبًا؟ وكيف لسارة ذات التسعين عامًا أن تتحمل مشقة الحمل والولادة؟ ولكن على أية حال تحققت البشرى وحملت سارة بالفعل ووضعت إسحق طفلًا لها مع إبراهيم، وتحقق حلمهما معًا بعد سنوات من الانتظار وفقدان الأمل.

كان الصراع بين سارة وهاجر قد هدأ قليلاً في الفترة ما بين رجوع هاجر إلى بيت إبراهيم بعد هربها إلى الصحراء، وبين حمل وولادة سارة لإسحق، حيث شعرت سارة بالراحة بعد ولادة إسحق طبقًا للرواية التوراتية.

وعند فطام إسحق حين بلغ من العمر ثلاثًا أو أربعَ سنوات، صنع إبراهيم وليمة كبيرة احتفالًا بهذا الحدث، وحدث في ذلك اليوم أن إسماعيل كان يلهو ويمزح مع إسحق، ولكن سارة غضبت من مزاح ومضايقة إسماعيل لابنها فانفجرت وطالبت بطرد الجارية وابنها من المنزل، ولعلنا نلحظ أن تصرف سارة هنا مبني على تراكمات بداخلها، فلا تزال بداخلها

كراهية لجاريتها وابنها، والآن بعد أن رزقها الرب بإسحق قررت أن تستغني عنها وعن وجودها في حياتها مع إبراهيم، خاصة وأن الرب قد رزقهما بإسحق الذي سيصبح إبراهيم من خلاله أبًا لأمة عظيمة، ويحقق الوعد الإلهي دون حاجة لهاجر أو إسماعيل ابنها، من هنا رأت سارة أنه لم يعد لهم حاجة بهاجر خاصة وأنها لا تريد أن يرث إسماعيل ابن الجارية مع إسحق ابنها، فقامت سارة بطرد هاجر إلى الصحراء مع طفلها، وعلى الرغم من شدة تعلق إبراهيم بابنه إسماعيل ورفضه طردهما في بداية الأمر، إلا أنه وافق بعد ذلك ولم يجادل؛ حيث أمره الرب بالاستجابة لطلب سارة "في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحق يُدعى لك نسل".[١٤]

بعد حادثة طرد هاجر إلى الصحراء تنفصل كل من سارة وهاجر عن الأخرى، وينتهي بذلك الصراع المباشر بينهما، فتعيش سارة مع زوجها إبراهيم وابنها إسحق، وتضل هاجر طريقها في الصحراء مع ابنها إسماعيل وتكاد تواجه الموت بعد نفاذ المياه التي معها، فيظهر لها ملاك الرب مرة أخرى ليدلها على عين الماء وينجيها هي وطفلها من الموت.

وإذا كانت رواية العهد القديم تشير إلى نهاية الصراع بين سارة وهاجر على هذا النحو، إلا أنها تفصح عن بداية جديدة لصراع آخر بين نسل إسحق ابن سارة الذي تنحدر منه الجماعات اليهودية، ونسل إسماعيل ابن هاجر الذي ينحدر منه العرب أو كما يطلق عليه في ثقافتنا العربية "إسماعيل جد العرب".

ولعل رمزية الصراع بين سارة وهاجر وإشارته إلى الصراع الإسرائيلي العربي في عصرنا الحديث هي الفكرة الأساسية التي تبناها شعراء العبرية في تناولهم لشخصيتي سارة وهاجر في نتاجهم الشعري، فقد اتسعت قصة الصراع بينهما بكل ما فيها من تقاطعات ومحاور أخلاقية واجتماعية وسياسية للعديد من المعالجات الشعرية العبرية في العصر الحديث، عكست مواقف الشعراء تجاه العديد من القضايا المعاصرة وعلى رأسها قضية الصراع الإسرائيلي العربي التي كانت ولا زالت أكثر القضايا التي احتلت مكانًا خاصًا في النتاج الشعري العبري، فنجد من شعراء العبرية من عبر عن هذا الصراع بشكل إيجابي متعاطفًا مع

شخصية سارة فاتفق بذلك مع رواية العهد القديم، وهناك من عبّر عنها بشكل سلبي متعاطفًا مع شخصية هاجر فاعترض بذلك على رواية العهد القديم، وهو ما سيتناوله البحث تفصيلًا.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، هو أن تناول شعراء العبرية لهذه الرمزية في الصراع ينطلق من الفكر الصهيوني الذي وظَّف الدين لخدمة أغراض معتنقيه، فإذا تحقق الهدف من هذا التوظيف السياسي وأُقيمت الدولة، حدث الانقلاب على ذلك الفكر وعلى هذا التوظيف في إطار الصراع بين أن تكون إسرائيل دولة دينية أم دولة علمانية، فيما شكل – بعد ذلك – ركنا أساسياً فيما سُمي "**פוסט ציוניזם**" أي تيار "ما بعد الصهيونية".

ثانياً) تراوح الموقف الشعري من صراع سارة وهاجر

انقسم الشعراء حول الموقف من الصراع بين سارة وهاجر ورمزيته إلى الصراع الإسرائيلي العربي في العصر الحديث إلى فريقين "يمكن الاستعانة بهذا في النتائج"

١) فريق انحاز لشخصية سارة، فتعاطف معها، وبرَّر أفعالها وتصرفاتها ضد هاجر، في إشارة واضحة إلى تأييد هذا الفريق لكل الجرائم التي ترتكبها إسرائيل في حق الشعوب العربية بشكل عام والشعب الفلسطيني بشكل خاص، وهو الفريق الذي عمل على التوظيف السياسي للدين وللموروث اليهودي، باعتبارهما عنصرين أساسيين من العناصر التي تشكّل الشخصية اليهودية.

٢) فريق تعاطف مع شخصية هاجر، فرأى أن ما أقدمت عليه سارة من طرد لهاجر وابنها الصغير إلى الصحراء يعد تصرفًا لا يتناسب مع مكانة أمهات بني إسرائيل الأربع وأزواج الأنبياء الثلاثة وأخلاقهن، وهذا الفريق وصف سارة بأنها كانت حادة الطباع، تحاول التفرقة بين إبراهيم وابنه إسماعيل دون اكتراث، وتطرد أمًا مع طفلها الصغير إلى الصحراء بلا مبالاة[١٥]، فيما يمكن أن يمثل الاتجاه الرافض للتوظيف السياسي للدين، وهي دعوة لا تخلو – على أية حال – من مصالح وفوائد للجانب الإسرائيلي أيضًا. وسوف نعرض لكل فريق من الفريقين المتعارضين، وإن كان التعارض يصب في النهاية في صالح الجانب الإسرائيلي.

١) الفريق المؤيد لسارة ولتوظيف الدين سياسياً

سيتم تناول هذا الفريق من خلال عددٍ من القضايا هي

١) الفكر الصهيوني والنظرة الدونية للعرب.

٢) انتقال الصراع من القديم إلى الحديث ومشاعر الخوف بين القِدم والمعاصرة.

١- الفكر الصهيوني والنظرة الدونية للعرب

لا شك أن الفكر الصهيوني الذي يرتكز على عقيدة الاختيار والعلاقة الخاصة بين اليهود والرب كان بمثابة اللبنة الأولى في الصراع المحتدم بين اليهود والأغيار بشكل عام، واليهود والعرب بشكل خاص، حيث إن إعلاء اليهود من شأنهم والنظرة الدونية للعرب كان – ولا يزال – أحد الأسباب الأساسية في استمرار الصراع الإسرائيلي العربي إلى يومنا هذا.

أول ما نعرض له من هذا الفريق هي القصيدة التي نظمها إسحق لمدان יצחק למדן[١٦] (١٩١٩– ١٩٢٣) بعنوان "ולמה בכתה הגר؟ – ولماذا بكت هاجر؟"[١٧] – وهي جزء من ملحمته الشعرية الشهيرة "מסדה ماسادا"[١٨] – وتناول فيها شخصية سارة – الأم الأولى– كرمز لليهود، انحدر عنها نسلها هي وإسحق، بينما جعل من هاجر رمزًا للعرب المنحدرين من نسلها هي وإسماعيل.

وتعرض القصيدة لعدد من الأفكار المهمة التي تعبر عن عقيدة الاختيار والإحساس بالتفوق على الآخر، وهي العقيدة التي تسببت في معظم أوجه الصراع الذي احتدم بينهم وبين الأغيار، فالقصيدة تشير إلى أن ما لاقاه الطفل إسماعيل وأمه من تخبط الصحراء والقفر وقلة الطعام وشدة العطش وغير ذلك من أوجه المعاناة، يقل كثيرًا عما لاقاه أحفاد سارة – إن صح القول – في العصر الحديث، أثناء هجرتهم من بلدانهم إلى فلسطين، فقد بات العالم كله صحراء بالنسبة لهم منذ خرجوا من مصر، وباتت صحراء مصر رمزًا لكل بلدان الشتات.

استغل لمدان في هذه القصيدة الصراع بين سارة وهاجر ليعبر عن وجهة نظره الخاصة تجاه الصراع الإسرائيلي العربي، فحاول أن يجعل من العرب عنصرًا محفزًا ليدعو اليهود من

خلاله إلى ضرورة البقاء والتمسك بالأرض، فأخذ يبث في المهاجرين الجدد روح الغيرة من العرب بغرض تشجيعهم على بذل الجهد والعمل، والتمسك بالحلم الصهيوني، والبقاء في فلسطين، وعدم تركها للعرب الذين صورهم بأنهم متكيفون تمامًا مع تلك البيئة، في مقابل رؤية اليهود للأرض ذاتها بأنها غير مؤهلة للعيش، لذا يستنكر لمدان على اليهود هذه الروح الاستسلامية التشاؤمية، ويدعوهم إلى البقاء لأنهم أحق بهذه الأرض من هؤلاء العرب من وجهة نظره، فهم أبناء سارة وإسحق. يقول الشاعر :

ולמה בכתה הגר על ישמעאל כי צמא

ויכלו מחמת מים

לא לה היה לבכות –

גדל ישמעאל והוא פֶּרֶא לְמוּד- מדבר,

על מרחקים רבים עַתָּה קַשְׁתו תְּאַיִם

וּכְבַד- מְזֻמּוֹת עַל דַּבְשׁוּת גמליו יתנועע וְיָרֹן –

אֵי שָׂרָה כי תבך לבנה יצחק

אשר כל יהבו הושלך פה

על מוראו של הַיְשִׁימוֹן[19]?[20]

لماذا بكت هاجر على إسماعيل حين عطش
وفرغت قربة الماء
لم يكن من حقها أن تبكي –
لقد كبر إسماعيل ليصبح نتاجاً لحياة الصحراء،
وسيهدد رمحه الآن الأماكن البعيدة.
يحمل مؤامراته ويتبختر بها على أسنمة جماله ببطء مغنيًّا
أين سارة لكي تبكي على ابنها إسحق
الذي نُحِّيَت كل أعبائه جانبًا هنا (في الصحراء. الباحثة)
في مقابل (الاكتفاء بالحديث. الباحثة) عن الفزع من الصحراء (الذي واجه هاجر وإسماعيل. الباحثة)؟

يوجه لمدان سؤالاً استنكارياً بداية من عنوان قصيدته "لماذا بكت هاجر؟"، إذ يرى أن هؤلاء المهاجرين الجدد، الوافدين من أوروبا، المؤمنون بعقيدة "الاختيار الإلهي" أبناء سارة

وإسحق، أصحاب عقيدة "الأرض الموعودة" هم الأوْلى بالبكاء على حالهم، وليس أبناء هاجر وإسماعيل! فالجماعات اليهودية الوافدة من الخارج هي التي تجد صعوبة في التكيف مع هذه الأرض الجديدة، بمناخها الحار القاسي، وبأوضاعها المعيشية الصعبة، المختلفة عن مناخ أوروبا وأوضاعها المعيشية الأكثر يسرًا، أما الفريق الآخر من أبناء هاجر المصرية وابنها إسماعيل – والذين يرمز بهم الشاعر إلى العرب – فيستنكر لمدان عليهم بكاءهم، فهم معتادون على هذه الأرض بالفعل، فقد ولدوا وعاشوا في الصحراء، ويرى الشاعر أن حادث طردهم إلى الصحراء ساعدهم على التكيف على الصعاب مع هذه الأرض والتمرس على أهوالها، فهم معتادون على الصحراء وليس من حقهم البكاء[٢١]، ولا شك أن رأي الشاعر في العرب ينطوي على غطرسة وتعالي نشأ عن عقيدة الاختيار التي جعلت من اليهود أعلى منزلة وشانًا من بقية البشر أجمعين.

من هنا كانت قصيدة لمدان موجهة آنذاك بشكل أساسي إلى يهود الغرب لا ليهود الشرق فهو يرى أن يهود الغرب كانوا يواجهون صعوبات كبيرة في التكيف مع الشرق، بينما الشرقيون فهم قادرون على التكيف حيث إن حياتهم في البلدان الشرقية جعلتهم يعتادون على المناخ الشرقي والعمل اليدوي، وحين نُظمت هذه القصيدة إبان موجة الهجرة الثالثة التي كان معظم أتباعها من روسيا، حيث إن اندلا ع الثورة البلشفية في روسيا وما نتج عنها من اضطرابات أدت إلى هجرة عدد كبير من اليهود بلغ عددهم آنذاك خمسة وثلاثين ألف نسمة، مما يدل على أن عدد اليهود الغربيين فاق عدد اليهود الشرقيين إبان هذه الهجرة.[٢٢]

وحين تمكن الإحباط من المهاجرين الجدد، وأخذ بعضهم في النزوح إلى البلدان التي جاءوا منها، شعر لمدان بالخطر الذي يهدد تحقيق حلم "دولة اليهود"، فقام بعمل إسقاطات على رواية العهد القديم بغرض توظيفها سياسياً، فنظم هذه القصيدة مناجيًا الرب بأن يرسل لهؤلاء المهاجرين اليهود – أبناء سارة – ملاكًا يسقيهم ويساعدهم على البقاء مثلما حدث مع هاجر وابنها إسماعيل في رواية العهد القديم، حيث أرسل الرب الملاك؛ ليدلَّ هاجر على مكان عين الماء فترتوي هي وابنها وينجوان من الموت، يقول الشاعر :

הגלה, הָה, הגלה, מלאך אלוהים,
הראה הבאר, גלה הצל
לפליטי – זעם חורגות
אשר במקלטם
קדמם שָׂרָב
וצמא הִכָּם!
הגלה! אין אם עוד אשר תשא קולה ותבך
ולך תקרא!
ותחת שיח-יתום במדבר-מקלט
לא בן-המצרית השלך –
פה בצמא יתעלף יצחק,
זרע אברהם ושרה![23]

فلتظهر يا ملاك الرب، فلتظهر
واكشف عن البئر وبيِّن الظل
للهاربين من غضب زوجات الأب
الذين في ملجأهم
الذي سبقهم إليه القنط الشديد
وأصابهم الظمأ!
اكشف! فلم تعد هناك أم قادرة على رفع صوتها بالبكاء
لتناديك باسمك
وتحت شجرة يتيمة في هذا الصحراء
ليس إسماعيل من تم إلقاؤه –
بل فقد إسحق وعيه من شدة الظمأ،
نسل إبراهيم وسارة!

يشير الشاعر هنا إلى أن الرب في العصور القديمة وقف إلى جانب هاجر وابنها فأنقذهما مما كانوا عليه، وأرسل إليهما الملاك ليدلهما على مكان بئر الماء، لذلك ينبغي على الرب في العصر الحديث أن يفعل ذلك أيضًا مع أحفاد سارة – وهم شعبه المختار – مثلما فعل مع هاجر وابنها – على الرغم من أنهم مجرد "أغيار".

لعلنا نلمس هنا في نبرة الشاعر أسلوبًا غير لائق ينطوي على إصدار الأوامر للرب، وكأن البشر هم من يأمرون الرب ويحددون أفعاله – حاشا لله، ومما تجدر الإشارة إليه أن التجديف في حق الرب أمر يتفق واعتياد أدباء العبرية على امتداد تاريخ الأدب العبري الحديث والمعاصر، بل وجذوره الأصلية موجودة في كتاب العهد القديم ذاته, فيشيرون إلى أنه يقف إلى جانب الشعوب الأخرى ويدعمها على الدوام، بينما لا يقف إلى جانب "شعبه المختار" والأمثلة على كثيرة.[٢٤]

وإجمالاً فإن القصيدة تشير إلى سيطرة الأفكار الصهيونية على الشاعر، وخاصة عقيدتا "شعب الله المختار" و"العلاقة الخاصة بين اليهود والرب" فدفعته هذه الأفكار لاستنكار فكرة تفوق "الأغيار" على الجماعات اليهودية، حتى لو تعلق الأمر بالتكيف مع البيئة ورحمة الرب لخلقه، فيحاول انطلاقًا من هذه العقيدة الصهيونية، التي تتماهى مع المزاعم الدينية، تذكير الرب بأن يفي بوعده الذي قطعه على نفسه، بأن يمنح هذه الأرض لأبناء إبراهيم من زوجه سارة، والذي لم يتحقق بعد، مثلما أوفى بوعده فيما يتعلق بابن هاجر، الذي أمده بأسباب البقاء والحياة في الصحراء[٢٥]، فيؤكد الشاعر على أن الرب يساعد الأغيار ولا يساعد اليهود، وكأنه رب الأغيار لا رب "شعبه المختار"!

ويتضح في القصيدة أيضاً تأثير روح المرحلة الصهيونية التي نظم لمدان خلالها قصيدته في تحفيز المهاجرين الصهاينة على ترسيخ أقدامهم في فلسطين وإقامة الدولة، بينما خلت القصيدة من الحديث عن معاناة هاجر وابنها في الصحراء – وهو ما سكت عنه أيضًا النص التوراتي الذي يتفق الشاعر معه تمامًا في هذه النقطة – وتفرغ الشاعر في قصيدته للحديث فقط عن الأيدلوجية الصهيونية بشقيها الديني (الوعد) والسياسي (الاستعماري)، إلى آخرية هاجر المصرية وابنها، وكأن هذه الإشارة التي تبدو للوهلة الأولى عارضة, هي بمثابة إشارة مقصودة في سياق الحديث الضمني عن الوعد والأرض.[٢٦]

وإذا كان إسحق لمدان قد انتقص من شأن هاجر، وأنكر دورها، وتغاضى عن معاناتها في مقابل إعلاء شأن سارة ونسلها والتأكيد على معاناتهم، فإن الشاعرة داليا رابيكوفيتش[٢٧]

דליה רביקוביץ أكدت على النقطة ذاتها في قصيدتها "**אישה מקנאת** غيرة امرأة" التي نظمتها عام ١٩٧٧[٢٨]، فركزت على وصف معاناة سارة وشقائها في مقابل التغاضي تمامًا عن معاناة هاجر وابنها إسماعيل في الصحراء، تقول الشاعرة :

חריצים נצנצו בחלקת צווארה	**ظهرت الشقوق واضحة في رقبتها**
מקנאה וחרון קנאתה נבללה	**من حنق غيرتها التي اكتوت بنارها**
כל גבעול בגינה כצמחי קיקיון	**كل سيقان النباتات في الحديقة تشبه نبات الخروع**[٢٩]
כל שיר באוזניה כרחש קללה.	**كل أغنية تسمعها كلعنات تهمس في أذنيها**
שנתה נדדה ולבה נאטם	**أصابها الأرق وانفطر قلبها**
עיניה דלוחות מחשד ושנאה.	**عيناها حائرتان من الشك والكراهية**
לפתע אמרה לו שרה: אברהם	**وفجأة قالت له سارة: يا إبراهيم**
גרש מביתי את הגר ואת בנה.	**اطرد من بيتي هاجر وابنها**
לא יירש עם בני יחד	**فلن يرث مع ابني**
גם בן האמה	**أيضًا ابن الجارية**
שלח מלפני למדבר את השנים[30]	**اطرد كليهما من أمامي إلى الصحراء**

تحاول الشاعرة – في الأبيات السابقة – استدرار عطف القارئ لسارة، لا لهاجر بالطبع، فهي سيدة المنزل، الحسنة المظهر، التي صبرت وتحملت الآلام مع زوجها لسنين طويلة، ولكن على الرغم من ذلك فإنها لا تشعر بأنها تمتلك أي شيء، في مقابل جاريتها التي ملكت فجأة كل شيء، ولعل هذا الوصف المفصل لمشاعر سارة وألمها وانكسارها في مطلع القصيدة، والتغاضي تمامًا عن وصف مشاعر هاجر أو ردود فعلها، ينم عن تماثل تام مع الرواية التوراتية التي أسقطت هي الأخرى صوت هاجر تمامًا خلال مجرى الأحداث. لذا تتساءل الشاعرة كيف لنا أن نلوم امرأة تعاني مثل هذه المعاناة ونحاسبها على تصرفاتها؟ فتقول :

ומי שהוכה בו ביום תדהמה	**ومن الممكن أن يصيبه الذهول من ذلك**
האם יאשים את שרה כי מרה היא?[31]	**فهل من الممكن اتهام سارة بسبب ألمها؟**

ولعلنا نلحظ في قصيدة رابيكوفيتش أنه على خلاف العديد من الشعراء الذين قبلوا الرواية التوراتية كما هي دونما البحث عن تفسيرات ومبررات لحادثة طرد سارة لهاجر، حاولت الشاعرة من خلال قصيدتها البحث عن الأسباب التي أدت إلى هذا التصرف الذي يبدو للوهلة الأولى تصرفًا لا يليق ومكانة شخصية مقدسة مثل سارة. وبشكل آخر غير مباشر، فإن رابيكوفيتش تسعى لإيجاد مبررات لكل الأفعال الوحشية التي ترتكبها إسرائيل في حق الفلسطينيين.

تتفق هذه المحاولة من جانب رابيكوفيتش مع العديد من محاولات رجال الدين اليهود، الذين حاولوا تفسير هذا الموقف بالشكل الذي يُظهر سارة في صورة إيجابية، حيث سعى العديد منهم للدفاع عن سارة[٣٢]، مؤكدين أن ما قامت به هو مجرد تنفيذ لإرادة الرب من الأساس، مستندين في ذلك إلى ما ورد في التوراة، حيث أمر الرب إبراهيم بضرورة الاستجابة لكل ما تطلبه سارة دون تردد "**כֹּל אֲשֶׁר תֹּאמַר אֵלֶיךָ שָׂרָה שְׁמַע בְּקֹלָהּ** افعل كل تقوله لك سارة"[٣٣]، ناهيك عن أن رجال الدين قد استندوا أيضًا إلى فكرة أن الرب خطط لكل هذا مسبقًا، والدليل على ذلك أنه أرسل ملاكاً يرشد هاجر على عين الماء، فلم يكن الرب ليرضى أبدًا بظلم هاجر وابنها، وما فعلته سارة هو مجرد تنفيذ لإرادته وحده.[٣٤]

من هنا حاولت رابيكوفيتش استخدام مشاعر سارة كوسيلة لتبرير تصرفاتها القاسية، فتستهل قصيدتها بوصف مشاعر الغيرة التي تأججت في داخل سارة من جاريتها هاجر، وكيف أن هذه المشاعر هي التي دفعتها أن تطلب من إبراهيم أن يطردها مع ابنها إلى الصحراء، ويتضح هذا كله في عنوان القصيدة "**אישה מקנאת** غيرة امرأة"، حيث عددت رابيكوفيتش كل أفعال سارة إزاء هاجر وأشارت إلى أنها نابعة من جراء الغيرة الشديدة.

وإذا كان كلا الشاعرين إسحق لمدان وداليا رابيكوفيتش قد عرضا لهاجر وابنها إسماعيل، وقارن بينهما وبين سارة وابنها إسحق في القصيدتين السابقتين، وجعل المقارنة تصب في صالح سارة لا هاجر، فإن الشاعرة ميخال سنونيت[٣٥] **מיכל סנונית** تتفق بدورها مع الرواية

التوراتية تمامًا، وذلك في قصيدة "**ללא כותרת** بدون عنوان" التي نظمتها عام ١٩٧٣، وعبرت فيها عن رأيها في الصراع الإسرائيلي العربي من خلال توظيف قصة الصراع بين سارة وهاجر توظيفاً سياسياً يتمشى مع أحداث حرب أكتوبر ونتائجها وأثرها النفسي في المجتمع الإسرائيلي الذي تجرع الهزيمة. ولكنها على عكس لمدان، لم تطرح تساؤلات تتعلق بالرواية التوراتية، كما أنها لم تعلق عليها أو تعترض على أحداثها، بل أيدتها جميعها. تقول سنونيت :

גבירה אחת לבית ואחד בו אדוניו.

מתחשק לך לצום הלילה אני שולחת אליך

את שפחתך הגר, גם אם אבנה, לה ההשפלות

ונשיכות הבשר הנאבק עם חוסר אוניו.[36]

للبيت سيدة واحدة وسيد واحد.
ربما تريد أن تصوم الليلة لأنني أرسل لك
جاريتك هاجر، وحتى إن حملت، فلا بد من أن يتم تحقيرها
والإساءة إلى جسدها الذي يصارع ضعفه.

والقصيدة عبارة عن حوار قصير بين طرفين، هما سارة وإبراهيم عليه السلام، وتبين أن الطرف الأول المتحدث – أي سارة – هو فقط الطرف الظاهر لنا، حيث لم يظهر إبراهيم إلا بدور المتلقي الصامت في هذا المشهد، مما يجعل القارئ يشعر بغضب سارة في حديثها الموجه إليه، وهو حديث ينطوي على الانتقاص من شأن هاجر ويقلل من مكانتها، وفي الوقت نفسه فهو بمثابة أمرٌ لإبراهيم بأن يقلل من قدرها، كما يشير حديثها إلى حسرة وحزن على ما آلت إليه أمورها من اضطرار لتسليم جاريتها هاجر لزوجها إبراهيم حتى يرزقا بالأبناء، مما يؤكد على إيمان الشاعرة بسيطرة سارة التامة على قرارات سيدنا إبراهيم.

والأفكار التي تضمنتها القصيدة تعد استمرارًا لما انطوت عليه القصيدة السابقة لرابيكوفيتش من الإحساس بالتفوق وسيطرة "عقيدة الاختيار" في مقابل تضاؤل "الأغيار" والنيل من قدرهم، وهو ما يدلل عليه موقف سارة من هاجر وإسماعيل، حيث يبدو التحامل من قبل الشاعرة على شخصية هاجر، فعلى الرغم من أن هاجر لم تبد اعتراضاً على كونها مجرد أداة للإنجاب، إلا أن سارة تنال من قدرها، وتؤكد على أن زواجها من إبراهيم لن يعلي

من شأنها، بل ستظل في مكانتها المتدنية للأبد، فتشير الشاعرة إلى أن "للبيت سيدة واحدة" هي سارة، "وسيد واحد" هو إبراهيم، أما هاجر فلا تتعدى سوى أن تكون جارية "שִׁפְחָה"، وتنبع هذه الرؤية السلبية لهاجر في هذه القصيدة من أمرين:

١) الغيرة الشديدة التي تمكنت من سارة نحو هاجر باعتبارها الجارية التي سيتزوجها إبراهيم لحل أزمة الإنجاب التي فشلت فيها سارة حيث لم يرزقها الله أبناءً، وهو أمر يعد "عارًا" في العصور القديمة حين كانت الوظيفة الأولى للمرأة آنذاك تتلخص في إنجاب الأبناء لزوجها، فإن لم تستطع فعليها بأن تبحث عن حل لهذه المشكلة، وبخاصة أن المرأة التي لم تنجب كان ينظر إليها باعتبارها اقل شأنًا وتقديرًا عن غيرها من النساء[٣٧]، لذا شعرت سارة بتفوق هاجر عليها، وأيقنت أنها ليست الأم الموعودة لهذه الأمة، ولعل فكرة استخدام الغيرة كمبرر لتصرفات سارة ضد هاجر تتفق مع القصيدة السابقة لداليا رابيكوفيتش، فكلتا الشاعرتين اتفقت على أن الغيرة هي التي أدت إلى مثل هذا التصرف

٢) النيل من شأن هاجر باعتبارها من الأغيار بشكل عام، ورمز للعرب بشكل خاص[٣٨]، فهي الجارية المصرية غير اليهودية التي كلفت بخدمة سيدتها، وهي النقطة التي أكد عليها الشعراء الثلاثة – لمدان وسنونيت ورابيكوفيتش – في قصائدهم السابقة الذكر.

ومن هنا يتضح لنا الرمزية التي تحملها هذه القصيدة ، وتعبر عن رؤية الشاعرة ميخال سنونيت للصراع الإسرائيلي العربي، فهي تناهض العرب الذين تمثلهم هاجر ، بل وتنال من شأنهم، وتؤكد لهم أن للبيت سيد واحد هو إبراهيم وسيدة واحدة هي سارة، والبيت هنا يرمز إلى ما يعرف باسم "أرض إسرائيل" أي أنه ليس لهاجر – أو قل العرب – مكان بينهم، فترى أنه لا مجال للعيش مع العرب في سلام، وهو ما يتفق مع المزاعم الصهيونية التي تروج على أن أرض إسرائيل "أرض يهودية" على الرغم مما يحيط بهذا من أكاذيب، فالهجرات العبرانية القديمة لأرض كنعان لم تكن الهجرات الأولى لهذه الأرض، فقد كانت هجرة الكنعانيين هي

أولى الهجرات بدليل تسمية هذه الأرض باسمها، كما أكد العهد القديم على أن "أرض كنعان" كانت أرض غربة لإسحق عليه السلام.

ولا شك أن الهزيمة التي لحقت بإسرائيل في حرب ١٩٧٣ أثرت في الشاعرة كثيرًا أثناء نظمها لهذه القصيدة للدرجة التي جعلتها تدرك – كما أدرك الكثير من الإسرائيليين آنذاك – أنه لا مجال للاستقرار أو الأمن في إسرائيل، وأن الحلم الصهيوني الذي طالما داعب اليهود هو مجرد وهم، وحلم لن يتحقق، كما أن سخط الشاعرة على العرب الذين انتصروا في الحرب جعلها تستنكر الأمر الواقع وتتهرب منه، فأخذت تهاجم العرب من خلال قصيدتها باعتبارهم من الأغيار الأقل شانًا ومكانة من المنظور اليهودي والصهيوني، ولا شك أن هذا الهجوم الشديد على العرب من قبل الشاعرة يناقض كونها إحدى عضوات جماعة "السلام الآن"، وهذا يبرز لنا مدى التناقض في تركيبة الشخصية اليهودية، وتشير في الوقت ذاته إلى أن اليهود يتفقون جميعًا على ثوابت لا يحيدون عنها أيًا كانت انتماءاتهم السياسية والفكرية مثل العهد والاختيار وأرض إسرائيل وغيرها من الثوابت الدينية التي روجت لها الحركة الصهيونية.

ويتضح الهدف من نظم هذه القصيدة ، حيث سعت الشاعرة إلى إبراز أكثر من دلالة سياسية، منها ما يتعلق بتأكيد "أحقية" سارة، ومن ثم نسلها من إبراهيم، في السيادة على الأرض التي يرمز لها بالبيت، ومنها ما يتعلق بالنظرة العنصرية الفوقية إلى الآخر، المختلف من حيث الطبقة والوضع الاجتماعي؛ وهما دلالتان خطيرتان تسلمان وتقران بالتفضيل التوراتي والديني غير المبرر لسارة، وبالتمييز غير المنصف ضد هاجر التي ترمز هنا للعرب.[٣٩]

لا شك أن العديد من الشعراء الذين تناولوا الصراع بين سارة وهاجر ركزوا في قصائدهم على الإشارة بشكل ضمني أو مباشر إلى الصراع الإسرائيلي العربي، فكان هدفهم الأساسي النيل من شأن العرب بشكل عام، فهم سكان الصحراء الهمجيون، المعتادون على حياة

البرية التي شبهها البعض منهم بحياة "الحيوانات" أما اليهود فهم الأرقى من ذلك، فنزعوا من العرب صفة الإنسانية في مقابل وصف الجماعات اليهودية بأسمى وأفضل الصفات!

فالشاعرة داليا رابيكوفيتش في قصيدتها "غيرة امرأة" تصف إسماعيل وصفًا سلبيًا، حيث رأت أن حياته في الصحراء جعلت منه إنسانًا وحشيًا همجيًا، في مقابل إسحق الطفل الصغير الذي لن يقوى على الدفاع عن نفسه.

وهنا تعقد الشاعرة مقارنة بين نسلي كل من سارة وهاجر، وكيف أن القلق ينتاب الأم سارة على مصير ابنها الصغير الضعيف في مواجهة ابن هاجر الذي جعلته الحياة البرية قويًا مفتول العضلات، ولكن في الوقت ذاته سلبت منه الشاعرة صفة الإنسانية، وشبهته بالحيوان، ولا شك أن هاتين الصفتين – سواء المادية أم المعنوية – تتسمان بالسلبية المفرطة تجاه إسماعيل ومن ثم تفصحان عن تهكم واضح من العرب جميعاً باعتبارهم نسله .

חרש שוררת אמנו שרה.	**انتاب الصمت أمنا سارة**
בקיץ ההוא בבוקר הצח,	**في ذلك الصيف وذاك الصبح الصافي**
הלך ישמעאל אדמוני ומפורח	**أصبح إسماعيل ذو الوجه الأحمر المزدهر**
פרא אדם אדיר קבורות	**إنسانًا همجيًا (متوحشًا. الباحثة) مفتول العضلات**
אך מי יגונן על בני יצחק	**ولكن من الذي سيحمي ابني إسحق**
על בני הקטן מאוד ؟[40]	**ابني الصغير للغاية؟**

وينسحب الأمر على قصيدة لمدان الذي يتفق مع رابيكوفيتش في مدى تأثير الحياة الصحراوية في إسماعيل، حيث جعلت منه إنسانًا وحشيًا همجيًا، إلا أنه في إشارة منه للعرب، أضاف صفة الخبث والدهاء وحياكة المؤامرات ضد اليهود، ولا شك أن كل هذه الصفات السلبية لهاجر وابنها إسماعيل هو تكرار للتعبير عن كراهية شديدة للعرب من جانب، وعن تعالٍ وتباهٍ بـ"أفضلية" اليهود ووصفهم بأنهم "شعب الله المختار"، وفي هذا يقول الشاعر:

גדל ישמעאל והוא פֶּרֶא לְמוּד- מדבר,
על מרחקים רבים עַתָּה קַשְׁתו תְּאַיִם
וּכְבַד- מְזִמּות עַל דַּבְּשׁות גמליו יתנועע וְיָרֹן – [41]
لقد كبر إسماعيل ليصبح نتاجاً لحياة الصحراء،
وبات رمحه يهدد الأماكن البعيدة.
يحمل مؤامراته ويتبختر بها على أسنمة جماله ببطء مغنيًّا

وأكد لمدان عن نظرته الدونية للعرب مرة أخرى من خلال الوصف السلبي لشخصية إسماعيل في قصيدة أخرى له بعنوان قصيدة أخرى للمدان بعنوان "**עין אם** عين أم"، يقول الشاعر :

הה, שרה אמנו, מה היטבת לראות:
(עין-אם תמיד רואה, למרחקים צופה)
כי יחשיף הצחוק את שני בן-המצרית
והיו כמאכלת מתוך נדן שלופה - -[42]

واحسرتاه يا أمنا سارة، بماذا تمت مكافأتك:
(ترى عين الأم دائمًا، وتشاهد عن بعد)
لأن الضحك سيكشف عن أسنان ابن المصرية
التي هي بمثابة سكين قاطعٍ مُستلٍّ من غمده – –

يعبر لمدان عن الشر الذي يملأ نفس إسماعيل بوصفه "ابن الجارية المصرية"، وهو ما ينطوي على إشارة واضحة إلى تدني شأن إسماعيل عن إسحق، فمن ناحية إسماعيل هو ابن الجارية، أي أنه من طبقة اجتماعية أقل، ومن ناحية آخر، فهو ابن المصرية، اي أنه ينتمي للأغيار الذين لا يرتقون إلى مستوى اليهود "شعب الله المختار"! ولعلنا نلحظ أن غالبية الشعراء الذين انحازوا إلى سارة ضد هاجر، أي للجانب الإسرائيلي ضد الجانب العربي، كانت حجتهم أنهم "يتعاملون مع الأغيار" في ظل سيطرة مطلقة لفكرة "شعب الله المختار" عليهم.

٢- انتقال الصراع من القديم إلى الحديث ومشاعر الخوف بين القدم والمعاصرة

ربطت الشاعرة داليا رابيكوفيتش في قصيدتها بين الصراع القديم (سارة وهاجر) وبين الصراع الحديث (إسرائيل والعرب) وكأنها تحاول أن تجعل من حادثة طرد سارة لكل من هاجر وإسماعيل نقطة البداية للصراع القديم بين الطرفين، والذي امتد ليتمثل في الصراع الحديث بين نسلي هذين الطرفين، فبعد حادثة الطرد، يظهر البعد السياسي المقصود من وراء نظم رابيكوفيتش لهذه القصيدة، فعلى الرغم من أن حادثة الطرد كانت بمثابة الانفصال التام بين سارة وهاجر، والنهاية الفعلية للصراع بينهما، إلا أنها بشكل آخر شكلت نقطة البداية للصراع الجديد بين نسل سارة من جهة، ونسل هاجر من جهة أخرى، إشارة إلى الصراع الإسرائيلي العربي، وطبقًا لرأي الشاعرة، فمنذ ذلك الوقت لم تتوقف الحروب، ولم تهدأ الصراعات.

ובבוקר ההוא עם הנץ החמה	**وفي ذلك النهار مع شروق الشمس**
גורשו אם ובנה וצפחת המים	**تم طرد أمٍ وابنها مع قربة من الماء**
ומאז לא חדלו מלחמות על העיר	**ومنذ ذلك الوقت لم تتوقف الحروب في المدينة**
צעיר מכה בכור והבכור יך צעיר.[43]	**فيضرب الصغير الكبير، ويضرب الكبير الصغير**

وأكد لمدان على الفكرة ذاتها في قصيدته "ولماذا بكت هاجر" حين ربط بين الصراع القديم بين إسماعيل وإسحق، والصراع الحديث بين نسليهما – اليهود والعرب، محاولًا التأكيد على أهمية مناصرة الرب لنسل إسحق لا نسل إسماعيل، يقول الشاعر

לא בן-המצרית השלך –	**ليس إسماعيل من تم إلقاؤه –**
פה בצמא יתעלף יצחק,	**بل فقد إسحق وعيه من شدة الظمأ،**
זרע אברהם ושרה![44]	**نسل إبراهيم وسارة!**

ولم يكن هذا الربط مجرد ربط بين صراع قديم وصراع حديث، وإنما جاء الربط أيضًا بين مشاعر الخوف التي انتابت سارة قديمًا ومشاعر الخوف التي تسيطر على الجماعات

اليهودية حديثًا, فنجد على سبيل المثال الشاعرة داليا رابيكوفيتش وقد ركزت في قصيدتها "**אישה מקנאת** غيرة امرأة" على وصف مشاعر الخوف التي سيطرت على سارة من جراء قلقها على مستقبل ابنها إسحق وعلى مستقبل البكورة، فهي تخشى عليه من إسماعيل ابن هاجر، ولعل خوفها تضاعف بسبب تقدمها في السن وإيمانها بأن الموت قادم لا محال، ولكن قلقها على ابنها إسحق وخوفها على مصيره من بعد موتها كان يطغى على خوفها من الموت ذاته٤٥. وفي ذلك إشارة من قبل رابيكوفيتش إلى القلق على مستقبل إسرائيل في ظل وجود العرب وتمسكهم بحقوقهم المشروعة، وتأكيد على أنهم يمثلون خطرًا يهدد أمن وسلامة الأجيال القادمة، مما يبرهن للقارئ على الاقتناع التام للشاعرة باستحالة تحقيق السلام مع العرب، وهو ما يؤكد مرة أخرى على تناقض شخصية رابيكوفيتش التي كانت تنتمي لجماعة السلام الآن على الرغم من هجومها الواضح على العرب في قصيدتها.

ידה לבצק היא שלחה כתמיד	وضعت يديها في العجين كالعادة
ולפתע שטפוה דמעות עיניים.	وفجأة انهمرت دموعها
תשעים שנות חייה נתנו בה סימן.	فقد أثر فيها تسعون عامًا من حياتها
הלבין השער וחלשו הידיים.	فاشتعل رأسها شيبًا وضعفت يداها
מי יגונן על בנה הקטן	من الذي سيحمي ابنها الصغير
כשיגיע יומה לבית עולמים	حين توافيها المنية
ומה יהיה על יצחק היתום	وماذا سيحدث حينئذ لإسحق اليتيم
בין הגר הפורחת	بين هاجر المزدهرة
כפרי בבוסתן	كزهرة في بستان
ועמה ישמעאל	ومعها إسماعيل
אהובי אברהם[46]	أحباب إبراهيم

من هنا يتضح كيف عبرت الشاعرة داليا رابيكوفيتش عن حالة الخوف التي تسيطر على المجتمع الإسرائيلي في العصر الحديث، فهناك قلق مستمر على مستقبل الأجيال القادمة. واتخذت الشاعرة من وصف إسماعيل بشكل سلبي أساسًا ترتكز عليه في التعبير عن مشاعر الخوف والقلق من المستقبل التي سيطرت عليها، ولكن على خلاف لمدان الذي عبر في قصيدته عن الخوف ذاته، حين كان يخشى نزوح الجماعات اليهودية المهاجرة وعودتها مرة

أخرى إلى البلدان التي كانوا يعيشون فيها بعد صدمتهم في الواقع الجديد بعد الهجرة، إلا أنه كان متفائلًا وداعيًا اليهود إلى ضرورة المثابرة والصبر والتمسك بالأرض، فقد أظهرت الشاعرة روحًا تشاؤميةً مناقضة لذلك، دون أن تعرض من خلال قصيدتها أي حلول مقترحة لإنهاء الصراع[٤٧]، بل وربما يُفهم من السياق العام للقصيدة أن هذا الصراع سيستمر إلى الأبد، والدليل على ذلك استمرار خوف سارة على مستقبل إسحق حتى بعد تخلصها من هاجر وإسماعيل.

ولم تكن رابيكوفيتش هي الشاعرة الوحيدة التي عبرت عن أن العرب هم تهديد لإسرائيل ووعيد لمستقبلها، فعلى الرغم من تفاؤل لمدان في قصيدته الأولى "ولماذا بكت هاجر؟" حين حاول استغلال العرب كأداة يحفز بها الجموع اليهودية على البقاء والتمسك بالأرض، إلا أنه في قصيدته الثانية "عين أم" اتفق مع فكرة رابيكوفيتش، فرأى أن العرب هم خطر يهدد أمن اليهود وسلامتهم، وأنه لا مجال للاستقرار في وجود العرب، وأن العلاقة بين اليهود والعرب تعد علاقة قائمة على الصراع المستمر.

הה, שרה אמנו, מה היטבת לראות:

واحسرتاه يا أمنا سارة، بماذا تمت مكافأتك:

(לב אם ירגיש תמיד, יראה למרחוק)

(يشعر قلب الأم دائمًا، ويرى عن بعد)

דבר לא-טוב יצוק בצחוק בן-האמה

شيء ما غير جيد مختلط بضحكة ابن الجارية

אימה תאפיל מפיו עת ירחיבו הצחוק.[48]

ينبعث رعب يحجب النور (يشوبه الغموض.

الباحثة) حين تتعالى ضحكته.

يربط لمدان بين فكرة عذاب سارة طوال حياتها بسبب عقمها، وبين معاناة اليهود في العصر الحديث، فكما صبرت سارة وتحملت كثيرًا، وفي نهاية الأمر لم تتم مكافأتها على هذا الصبر وهذه التضحية، بل اضطرت لتزويج زوجها بأخرى لتعيش في كابوس الخوف على

ابنها إسحق من إسماعيل ابن هاجر مدى الحياة، كذلك الأمر مع اليهود في العصر الحديث، فيرى أنهم أيضًا عانوا طوال حياتهم من "التشتت" والترحال من مكان إلى آخر، وحين استقروا أخيرًا في أرض فلسطين، وجدوا المقاومة العربية التي تقلق أمنهم وسلامتهم، وفي هذا ربط مباشر بين الصراع بين سارة وهاجر قديمًا والصراع الإسرائيلي العربي في العصر الحديث، وبين "المكافأة" التي نالتها سارة على صبرها على المعاناة قديمًا، و"المكافأة" التي نالها اليهود على صبرهم على "المعاناة" في العصر الحديث. ولعل هذه الفكرة توضح لنا كيف أن اليهود يرون أن معاناتهم مستمرة منذ القدم وستستمر معهم إلى الأبد، فالتعبير عن المعاناة ورثاء الحال يعد جزءًا متأصلًا في الشخصية اليهودية منذ القدم وحتى الآن.

לא הוא אשר כפות בידי אלהים וגורל
ראשון למסה יהי, בחיר לעקדה,
לא עליו יושם לשאת עצי-מוקדו
ולשאול שאלת-תמיד באוזן-עולם כבדה –

לא ישאל זה ולא יחקור, לכל אשר נבצר
מבינתו ילטש עין-איבה צוהלת;
מכל סגולות- אביו, מכל אשר לאברהם
יירש, ישמור אחת – את המאכלת - -[49]

فليس هو المقيد بين يدي الرب والمصير
بل سيكون أول حامل للوصية (الوارثين. الباحثة) ، والذبيح المختار،
ولن يُفرض عليه أن يحمل أخشاب مذبحه
وأن يسأل السؤال الدائم (المتكرر. الباحثة) في أذن العالم ضعيفة السمع –

لن يسأل عن هذا ولن يبحث عن ذاك، وكل ما هو فوق
إدراكه ستطمع فيه عينه المبتهجة الممتلئة بالعداء;

سيرث من كل كنوز (ممتلكات) والده، من كل ما يملكه إبراهيم،

وسيحافظ على شيء واحد فقط – سِكِّينه القَاطِع – –

يوضح الشاعر قلقه على مستقبل اليهود المتمثلين هنا في شخص إسحق الذي يُساق إلى الذبح، بينما ينتظر إسماعيل موت أخيه حتى يرث كل ممتلكات والده، وصور الشاعر إسماعيل وهو متطلع إلى تلك اللحظة التي يموت فيها إسحق وعيناه ممتلئتان بالعداء والحقد والكراهية، ويده ممسكة بسكينه القاطع في وصف ينزع من إسماعيل كل ما يمت للإنسانية بصلة، في إشارة إلى أن العرب لن يستسلموا حتى ينالوا حقوقهم المسلوبة، وأنه إذا كان إسماعيل يبحث عن حق البكورة والمساواة مع أخيه إسحق، فإن العرب يسعون لتحرير أراضيهم، ولعل في هذه الصورة ربط مباشر بين قصة الذبيح التي أنقذ فيها الرب إسحق من الذبح – طبقًا لرواية العهد القديم – وبين الصراع الإسرائيلي العربي، أي أنه يجب على اليهود الحذر من العرب، فإذا كان إسحق – الذبيح من منظور اليهود – قد تم إنقاذه من قبل الرب، فإنه يجب على اليهود أن يحتاطوا كثيرًا في الوقت الحالي من العرب.

ثانياً: الفريق المتعاطف مع هاجر والرافض لتوظيف الدين سياسياً

سيتم تناول هذا الفريق عبر ثلاث قضايا هي:

١) مناهضة عدوانية الاحتلال والدعوة إلى السلام.

٢) قوة هاجر وقدرتها على مواجهة الظلم.

٣) هاجر بين السلام والاستسلام.

١- مناهضة عدوانية الاحتلال والدعوة إلى السلام

تناول الشاعر يوسف عوزير **יוסף עוזר**[٥٠] الصراع بين سارة وهاجر في قصيدته "**קולה ומכנסיים** مياه غازية وبنطال"[٥١]، من منظور غير تقليدي، ليعرض من خلالها رؤيته للصراع الإسرائيلي العربي، فقد أحس الشاعر بالظلم البين الواقع على الفلسطينيين من قتل وسلب ونهب، فنظم قصيدته تعاطفًا مع الجانب الفلسطيني ليعبر عن رؤية جديدة يتخيل فيها

أوضاعًا معاكسة للواقع، فتحفَّظ بشكل نسبي على الرواية التوراتية الخاصة بالصراع بين سارة وهاجر.

בַּשָּׁבוּעַ בּוֹ חָלָה פָּרָשַׁת וַיֵּרָא	في الأسبوع الذي بدأت فيه قراءة تفسير "ظهر"[٥٢]
כְּשֶׁגֵּרְשָׁה שָׂרָה אֶת הָגָר וְיִשְׁמָעֵאל	عندما قامت سارة بطرد هاجر وإسماعيل
נִפְצַע הַיֶּלֶד עַאלִי גְ׳אוָואריש בֶּן ה 7	أصيب الطفل علي جواريش الذي يبلغ سبع سنوات
מִכַּדּוּר פְּלַסְטִינִי יָשָׁר אֶל תּוֹךְ הַמֹּחַ	برصاصة بلاستية اخترقت رأسه مباشرة
עַאלִי גְ׳אוָואריש הָפַךְ לְצָמַח	مات علي جواريش إكلينيكيًا (موتاً سريرياً)
בְּבֵית הַחוֹלִים הַיִּשְׂרְאֵלִי גָּסָס יוֹמַיִם	وظل يحتضر في المستشفى الإسرائيلي يومين
מַלְאַךְ הַמָּוֶת שָׁבָא	وملاك الموت الذي جاء
לֹא הֶרְאָה לְאִמּוֹ בְּאֵר מַיִם[٥٣]	لم يرشد أمه على مكان بئر الماء

طرح عدداً من التساؤلات المتعلقة بالصراع الإسرائيلي العربي بداية من جذوره وأسبابه ورمزيته في العصر الحديث ومنها:

أ- ماذا لو لم يقع من الأساس الصراع بين سارة وهاجر؟

ب- ماذا كان يحدث لو كانت العلاقة بينهما طيبة على الدوام؟ ولم تقم سارة بطرد هاجر من خيمتها؟

ج- وماذا كانت ستؤول إليه العلاقة بين إسماعيل وإسحق في ضوء التصورات السابقة؟

د- ما انعكاس التساؤلات السابقة على منظومة العلاقات بين الإسرائيليين والعرب في العصر الحديث؟

توضح هذه التساؤلات لنا إيمان الشاعر بأن تاريخ الصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين يبدأ من كتاب العهد القديم ذاته، فيربط مباشرة بين الصراع بين سارة وهاجر قديمًا كنقطة انطلاق للصراع الإسرائيلي العربي حديثًا، فمثلما قامت سارة بطرد هاجر في القصة التوراتية قامت الصهيونية الحديثة بطرد الشعب العربي الفلسطيني من أرضه رافضة حق العودة.

يربط يوسف عوزير بداية من مطلع القصيدة ربطًا مباشرًا بين الديانة اليهودية من جانب، والصراع بين سارة وهاجر من جانب ثانٍ، والصراع الإسرائيلي العربي من جانب ثالث؛ فيرى من أن الصهيونية لجأت إلى التوظيف السياسي للدين في تبرير كل السلوكيات العدوانية الإسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني، ويشير إلى أن الصهيونية بذلك شوهت القيم الدينية العليا للديانة اليهودية، فرسخت في أذهان اليهود أن ما ارتكبته سارة في حق هاجر هو أمر طبيعي ومقبول! فيرسم الشاعر صورة تخيلية يربط فيها بين مشهدين من عصرين مختلفين، أحدهما من العصور القديمة يتمثل في طرد سارة لهاجر مع ابنها لتواجه الموت في الصحراء، وثانيهما من العصر الحديث يتمثل في مشهد إصابة الطفل الفلسطيني برصاص جيش الاحتلال الإسرائيلي برصاصة في رأسه، في إشارة إلى عدوانية الإسرائيليين إزاء الشعب الفلسطيني حتى الأطفال، وفي إفصاح كامل عن أن ما يحدث في واقعنا الحالي هو نتيجة مباشرة لما فعلته سارة تجاه هاجر في العصور القديمة، وكما أخطأت سارة في حق هاجر قديمًا – طبقاً لرؤية الشاعر – فإن الإسرائيليين ما يزالون على عهدهم في ارتكاب الخطايا في حق الفلسطينيين في عصرنا الحالي[٥٤]، ولكن على عكس إنقاذ الرب لهاجر وابنها إسماعيل حين أرسل لهما الملاك ليدلهما على مكان بئر الماء، إلا أن الرب لم يرسل – للمرة الثانية– ملاكًا ينقذ الطفل الفلسطيني الذي قتلته قوات الاحتلال الإسرائيلي دون رحمة. وبهذا أصبح الطفل الفلسطيني في العصر الحديث أقل حظاً وأمناً وسلاماً من الطفل إسماعيل بن هاجر في العصر القديم.

اختار الشاعر طفلًا صغيرًا ليعرض وجهة نظره، ولا شك أن الهدف من وراء ذلك هو محاولة الضغط على القارئ لإقناعه بأسس الصراع وجذوره وآلياته وتاريخه، ناهيك عما يرمي إليه الشاعر من اختياره لاسم هذا الطفل، فالطفل على جواريش ينتمي لقرية جواريش الفلسطينية، وهي قرية صغيرة تقع في نابلس، وطبقًا للإحصائيات، فقد بلغ عدد سكانها ١٣٨٠ عام قبيل حرب غزة **עופרת יצוקה** عام ٢٠٠٩[٥٥]، وهو عدد ضخم من السكان لا يتفق مع قرية صغيرة، كما أن أغلبية سكان هذه القرية تحت خط الفقر ويعانون من

الأمراض وارتفاع نسبة الجريمة داخل هذه القرية، كل هذه وسط تجاهل تام من قبل الحكومة الإسرائيلية لهذه القرية وحقوق سكانها[٥٦]، لذلك فقد وقع اختيار الشاعر عليها حتى يلفت الأنظار إلى درجة الاستهتار بالروح البشرية الذي وصلت إليه الحكومة الإسرائيلية، ومدى التجاهل المقصود لوضع الشعب الفلسطيني.

وينتقل الشاعر لطرح فكرة أخرى في قصيدته، فيشير إلى أن الحل النهائي لهذا الصراع القديم الحديث يكمن في اللجوء إلى السلام وآلياته، وأن يحافظ كل من العرب والإسرائيليين على حياتهم، حتى لو تطلب الأمر التعاون في نقل أجزاء من جسد أحدهما للآخر إنقاذًا لحياته، فيتخيل مشهدًا فيه يحاول كل من العرب واليهود الحفاظ على حياة بعضهم البعض.

שָׁחְלָה בּוֹ פָּרָשַׁת תּוֹלְדוֹת — وفي الأسبوع الذي بدأت فيه قراءة تفسير "مواليد"

אֶת עַאלִי גְ׳אוָואריש פֵּרְקוּ לַחֲלָקִים — قاموا بتمزيق على جواريش إلى أشلاء

לְיֶלֶד בֶּן 15 חִלְקוּ אֶת הַכָּבֵד וְהָרֵאוֹת — فأعطوا الكبد والرئتين لطفل يبلغ خمسة عشر عامًا

אִמּוֹ אָמְרָה בְּשִׁדּוּר — قالت أمه في الإذاعة

הַיֶּלֶד קָם וּבִקֵּשׁ קוֹלָה וּמִכְנָסַיִם — نهض الطفل وطلب مياه غازية وبنطالًا

אַבָּא שֶׁל גְ׳אוָואריש אָמַר — وطلب والد علي جواريش

שֶׁיִּתְּנוּ חֲלָקִים גַּם לִיהוּדִי — أن يمنحوا أعضاء طفله أيضًا لأحد اليهود

רַק אֶתְמוֹל חִלְקוּ חַיָּל יְהוּדִי לַעֲרָבִים — فقد منحوا بالأمس أعضاء جندي يهودي للعرب

וְשִׁיר מְשֻׁגָּע לִכְתֹּב — وهو متلهف لنظم قصيدة

אוּלַי כָּךְ לְאַט בַּעֲדִינוּת — فربما فقط هكذا بلطف "وبساطة"

נַעֲשֶׂה אֶת חִלּוּפֵי הָאֶזְרָחִים نقوم بتبادل بين المواطنين

פָּלַשְׁתִּינִים מֵחֲלָקִים שֶׁל יְהוּדִים فلسطينيون يضمون أعضاء من اليهودٍ

וְיהוּדִים מֵחֲלָקִים שֶׁל פָּלַשְׁתִּינָאִים [57] ويهود يضمون أعضاء من الفلسطينيين

يرى الشاعر من خلال هذه القصيدة أن السلام هو الحل الوحيد الذي سيحافظ على حياة الطرفين، العرب والإسرائيليين، فيوجه الشاعر دعوته المباشرة إلى السلام، وإلى ضرورة تقدير كل طرف للآخر وحرص كل منهما على حياة الآخر، موضحًا أن هذا هو الحل الوحيد الذي سيخرج الجميع منه منتصرين، فتخيل عوزير الطفل علي جواريش الذي توفي إكلينيكيًا وكأنه يمنح أعضاءه لطفل آخر يهودي فيحيا بسببه، ثم يمنح باقي أعضائه لجندي إسرائيلي آخر بموافقة والده، ويشير الشاعر أن هذا الجندي اليهودي المصاب بذاته كان قد منح أعضاءه أيضًا لعرب لآخرين سابقًا لينقذ حياتهم[٥٨]، فيرسم لنا الشاعر صورة تخيلية كلية، يتخيل فيها فلسطين وإسرائيل كجسد بشري واحد، تتألف أعضاؤه من الفلسطينيين والإسرائيليين، فإذا استمرت أعضاء الجسد في الصراع فيما بينها يتداعى الجسد بأكمله، وإذا اتفقت وتصالحت سينهض هذا الجسد ويحيا.

وفي ختام القصيدة، يربط الشاعر مرة أخرى بين الماضي والحاضر، فكما ربط بين حادثة طرد سارة لهاجر وبين قتل الطفل الفلسطيني في مطلع القصيدة في حالة الحرب، ربط الشاعر أيضًا بين مشهد تخيل فيه سارة وهاجر تعيشان سويًا في حب وتعاون واستقرار، وكيفية انعكاس ذلك على العلاقة بين الإسرائيليين والعربي في حالة السلم.

וְשָׂרָה אִמֵּנוּ וְהָגָר אִמָּם وسارة أمنا وهاجر أمهم

יִהְיוּ מַבְּסוּטוֹת בְּחֶלְקָן ستكون كل منهما سعيدة بنصيبها

וְנִשְׁתֶּה קוֹלָה וְגַם נִלְבַּשׁ מִכְנָסַיִם [59] ونشرب جميعًا مياهًا غازية، وأيضًا نرتدي بنطالًا

يتضح لنا من خلال هذه القصيدة غضب الشاعر وسخطه من الوضع الحالي، وثورته على المبادئ الصهيونية التي شوهت الدين، بل وثورته على الرواية التوراتية من الأساس، فلم يقبلها كما هي، وتحفظ علي أحداثها، لينعكس هذا بالإيجاب على العصر الحالي، فعبر الشاعر بذلك عن رغبته الشديدة في وضح حد للمجازر الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، موضحًا أن السلام هو الحل. كما يتضح للقارئ أيضًا أن الشاعر يدعو على استحياء إلى ضرورة إقامة دولة فلسطينية مستقلة، ومنح الفلسطينيين حقوقهم، وهو توجه يتفق والاتجاه الفكري السياسي المؤيد لحل الدولتين المستقلتين، إسرائيل وفلسطين، ويصير سلوك الجانبين سلوكًا واحدًا "يشرب كلاهما الكولا ويرتدي البنطلون" في إشارة إلى ميل كليهما إلى محاكاة العالم الغربي الذي يعيش في سلام ويسعى من أجل تطور بلاده في العصر الحديث، وإن كانت دعوة الشاعر للسلام هي الواضحة أمام القارئ إلا أنها تحوي في طياتها دعوة موجهة للطرف العربي تحديدًا للقبول بالأمر الواقع، خاصة في ظل عدم البت في قرار إقامة الدولتين حتى هذه اللحظة.

٢- قوة "هاجر" وقدرتها على مواجهة الظلم

قدمت الشاعرة زروبابيلا ساسونكين[٦٠] **זרובבלה ששונקין** في قصيدتها "**שבועת הגר במדבר** قَسَم هاجر في الصحراء" تصوراً آخر عن الصراع الإسرائيلي العربي، فتربط الإطار العام للقصة التوراتية بالواقع السياسي في المجتمع الإسرائيلي، فقدمت صورة أخرى تختلف عن الصورة التوراتية للصراع بين سارة وهاجر، فبينما تبدو شخصية هاجر في الرواية التوراتية شخصية ضعيفة منكسرة صامتة، غير قادرة على اتخاذ القرارات التي تخصها شخصيًا، حيث قدمها الموروث اليهودي باعتبارها جاريةً لسارة لا لإبراهيم، وصورها في شكل مستسلمٍ لقرارات سارة، نجد الشاعرة ساسونكين ترسم لها صورة أخرى مناقضة تمامًا لصورتها التوراتية، فصورتها كامرأة قوية تواجه الظلم باحثة عن الحق مهددة بالانتقام.

אֲנִי אָשׁוּב אֵלַיִךְ	سأعود إليكَ
בַּעֲלוֹת הַסַּהַר	عند ظهور الهلال
בְּקוֹל דְּמָמָה דַּקָּה	بصوت هامس هادئ

וְאֶל שָׂרַי	وإلى سارة
בְּיִלֵּל-תַּנִּים	بنواح بنات آوى
בַּחֲשֵׁכָה.	في الظلام
אֲנִי אָבוֹא מִן הַמִּדְבָּר	سآتي من الصحراء
לִבְטֹל אֶת נִדְרֵיךְ	لأنتزع نذورك
וּמִשָּׂרַי	ومن سارة
אֶת חֲלוֹמָהּ.[61]	"لأسلب. الباحثة" حلمها

تشير الشاعرة إلى حتمية عودتها من الصحراء التي طردت إليها، ستعود حينما ينقشع الظلام ويحل الصباح، وأنه عند عودتها ستنوح كما تنوح بنات أوى[٦٢]، وستسترد من إبراهيم ما نزعه من بكرها إسماعيل، كما ستسترد ما انتزعته سارة من حقها في أن تكون أمًّا لوريث إبراهيم. ويتضح من الأبيات قوة هاجر وعزمها وتمسكها بحقها في استرداد ما سُلب منها، في إشارة واضحة إلى عزم العرب على استرداد حقوقهم في فلسطين.

وتعقد الشاعرة مقارنة بين الإسرائيليين والعرب من خلال مقارنتها بين وضع إسحق الذي يقوده والده للذبح، ووضع إسماعيل الذي نجا من موت الصحراء ويتكاثر نسله بعدد الرمال، وتشير إلى أن قصة الذبح كانت عقابًا إلهيًا لكل من إبراهيم وسارة جزاء ما فعلاه مع هاجر التي نجَّاها الرب وابنها من موت محقَّق بأن بعث لها ملاكًا.

وتنظم الشاعرة قصيدتها على شكل حديث موجَّه من هاجر لإبراهيم، ومن ثم للجماعة الصهيونية، فتؤكد على بقاء هاجر وابنها إسماعيل، في إشارة رمزية إلى بقاء العرب وعدم استسلامهم لعدوان الصهيونية، وأنها – أي هاجر – ستحمي ابنها من برد الصحراء وحرارتها العاتية، ولن تنفد مياه القربة طالما بقيت هي على قيد الحياة، حيث تروي القربة بدموعها المنسابة حزنًا على مصيرها هي وابنها إسماعيل، وتعد هذه رسالة لليهود بأن يأخذوا الحيطة والحذر من العرب، وألا ينخدعوا بحالة الوهن التي عليها العرب حاليًا.

אֲנִי אֶרְאֶה אֶת בְּנִי	وسأشاهد ابني
גָּדֵל בֵּין הַחוֹלוֹת	يكبر بين الرمال
כְּדֶקֶל	كنخلة
וְאֶת בִּנְךָ מוּבָל לָעֲקֵדָה.	بينما ابنك مُساق إلى الذبح
אֲנִי אַשְׁקֶה שֶׁלִּי	سأسقي ابني
דְּמָעוֹת מִתּוֹךְ הַחֵמֶת	دموعًا من داخل القربة
בְּעוֹד יָדְךָ מוּנֶפֶת	بينما يدك مرفوعة
עַל שֶׁלְּךָ	على ابنك
וּגְרוֹן שָׂרַי נִחַר	وجفَّ حلق ساراي
בְּיגוֹנָהּ.	من حزنها
אֲנִי לִבְנִי אֶתְפֹּר	سأخيط لابني
כְּתֹנֶת[63] חוֹל וָשֶׁמֶשׁ	قميصًا من الرمال والشمس
וּבְלֵילוֹת קָרָה אוֹרִיד	وفي الليالي الباردة سأغطيه
שְׂמִיכַת הַכּוֹכָבִים	بغطاء من النجوم
וְלֹא יִכְלוּ לָעַד	ولن تَنْفَد أبدًا
הַמַּיִם מִן הַחֵמֶת	مياه القربة
כָּל עוֹד אוֹגְרוֹת	طالما تمدها
שְׁתֵּי בְּאֵרוֹת עֵינַי	بئرا عيني
כֹּחוֹת חַיִּים.[64]	بقوة الحياة

وقد لجأت الشاعرة ساسونكين لوصف هاجر على النحو السابق تمثلاً بأمها التي اعتمدت على نفسها وقامت على تربيتها وإعالتها بعد انفصالها عن أبيها، مما يشير إلى أن الأم كانت على درجة من القوة التي تواجه بها مصاعب الحياة، لذلك اصطبغت العديد من الأعمال الأدبية للشاعرة بصبغة نسوية تعبر فيها عن قوة المرأة واستقلالها وقدرتها وهو ما أضفته على هاجر، . أضف إلى ذلك أن ساسونكين تعاطفت مع "هاجر" للدرجة التي أطلقت

الاسم على ابنتها الاسم نفسه، الأمر الذي يدل على مدى تقدير الشاعرة لشخصية هاجر وتأثرها بها.[٦٥]

وإذا كانت ساسونكين قد تعاطفت مع "هاجر" – أو قلْ العرب – في قصيدتها السابقة، فقد سبق لأبيها الشاعر الشهير ألكسندر بان **אלכסנדר פן**[٦٦] أن نظم قصيدة أخرى بعنوان "هاجر" عام ١٩٤٧، وهو العام الذي صدر فيه قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وكانت الأماكن المقدسة آنذاك لا تزال تحت الإشراف الدولي، لذا كان اليهود آنذاك في مرحلة يحاولون فيها التوافق مع العرب، حيث لم تكن شوكتهم قد تقوت بعد،لذا عرض ألكسندر بان في قصيدته آنذاك لشخصية هاجر بشكل إيجابي، مما يفصح عن تأثر ساسونكين بأبيها في توجهه السياسي وانتقادها للجانب الإسرائيلي متمثلاً في سارة وابنها إسحق، وتعاطفها مع الجانب العربي المتمثل في هاجر وابنها إسماعيل[٦٧]، وإذا كان الأب قد نظم قصيدته "هاجر" في أوج الصراع بين المنظمات الصهيونية والشعب الفلسطيني عام ١٩٤٧ منتقداً الأعمال العدوانية الإجرامية لهذه المنظمات، فإن الابنة ساسونكين سارت على النهج نفسه فنظمت قصيدتها عام ١٩٦٩ إبان حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل

تتحدث الشاعرة عن شمس الصحراء المُحرِقة التي لفحت هاجر، وابنها الذي أعياه إجهاد السير والعطش، فعانت وصمدت وتحملت، حتى انكسر لهيب الصحراء، ونجت بابنها فكُتِبت له الحياة، حتى إذا كبُر تزوج ورزق بالكثير من الذرية التي ستحمل اسمه، في إشارة واضحة إلى أنه لو وقعت حادثة ذبح إسحق – طبقاً للرواية التوراتية – لما حظي بتلك الذرية.

עֵין הַמִּדְבָּר דְּרוּכָה	تتعقبني عين الصحراء
וְעַל גּוּפִי מַשְׁחֶזֶת	وكأنها (سكين) تُشحذ فوق جسدي
גְּצֵי קָדִים צוֹרְבִים	فيكويني شرار الشحذ المتطاير
וְסַכִּינִי קָרָה	وخناجر (تطعنُ)
אֶת שְׁתֵּי כְּתֵפַי הַנִּשְׂרָפוֹת	كتفيَّ المحترقين (من الشمس. الباحثة)

לוֹפְתוֹת יְדֵי הַיֶּלֶד	يحتضنان يدي الطفل
שֶׁמּוּט רֹאשׁוֹ בַּהֲזָיוֹת	الذي يتمايل رأسه من الإرهاق
עַל אֶבֶן צַוָּארִי	على رقبتي المتحجرة
עִם כָּל פְּסִיעָה שֶׁלִּי	مع كل خطوة أخطوها
אֵימַת מִדְבָּר נִכְנַעַת,	يتلاشى الفزع من الصحراء
חַיֹּה יִחְיֶה יַלְדִּי	عاش وسيحيا ابني حياة (طويلة. الباحثة)
יִרְבּוּ כַּחוֹל בָּנָיו –	وسيتكاثر أبناؤه كالرمال
אֶת זֹאת הַיּוֹם אֲנִי	وهاأنذا اليوم
הָגָר, לְךָ נִשְׁבַּעַת,	هاجر، أُقسِمُ لَكَ
עֵדִים לִי הַמִּדְבָּר	وتشهد عليَّ الصحراء
הַשֶּׁמֶשׁ בִּמְרוֹמָיו[68].	والشمس في عليائها.

يتضح من التصوير السابق لهاجر شخصيتها القوية وصبرها وتحملها حرارة الشمس وأعاصير الصحراء محافظة على ابنها، حتى بدت هاجر رمزًا لقوة المرأة في العصر الحديث وربما في العصور القادمة، فقد حوَّلت الشاعرة هاجر من امرأة ضعيفة منكسرة إلى امرأة توجه تهديداً لكل من إبراهيم وسارة بأن تحول حياتهما إلى فزع حتى تسترد البكورة المسلوبة من ابنها، وهو ما يشير ضمنياً إلى الواقع السياسي المعاصر الذي يشكل فيه العرب تهديداً للدولة الإسرائيلية التي سلبت الحق العربي في أرض فلسطين، فالظلم لا بد له من نهاية، والشمس حتماً ستشرق ويسترد كل مظلم حقوقه، ولا شك أن في ذلك إشارة ضمنية إلى أخذ الحيطة والحذر من العرب وعدم الاستهانة بقوتهم، وخاصة قوة المرأة العربية المتمثلة هنا في هاجر، فقد شاركت العديد من الفلسطينيات في العمليات الاستشهادية الفلسطينية ولا شك أن لهذا أثر قوي على صورة المرأة العربية في عيون اليهود. تقول الشاعرة

אֲנִי אָשׁוּב צְמוּאָה	سأعود متعطشةً
בְּתוֹךְ סוּפַת-מִדְבָּר	من داخل عاصفة الصحراء
חוֹרֶכֶת עֲקֵבְיךָ	أتتبع آثارك

אֲנִי אֵשֵׁב מוּלְךָ	وسأجلس أمامك
בְּאָהֳלֵי קֵדָר,	في خيام قيدار[٦٩]
אֲנִי אַבִּיט בְּךָ	وسأمعن النظر
כָּל עוֹד חַמָּה מוֹלֶכֶת	طالما تسطع الشمس
כָּל עוֹד יַזְלִיק רְקִיעַ	وطالما ستتلألأ في السماء
כּוֹכָבָיו.[٧٠]	النجوم.

من هنا رسمت الشاعرة زروبافيلا ساسونكين لوحة شعرية للواقع السياسي المعاصر، من خلال ربطها بين الدين بالسياسة، وبين الماضي والحاضر، ويدل على ذلك الربط المباشر أيضًا ما تضمنته بنية القصيدة ذاتها من تعبيرات وألفاظ تحيلنا مباشرة إلى الواقع السياسي، والصراع المستمر، وروح الثأر والانتقام والهيمنة، منها الاستهلال الذي تبدأ به الشاعرة قصيدتها حين "تربط عودة هاجر للانتقام من طارديها وظالميها في البيتين الأول والثاني ببزوغ الهلال "**הסהר**" الذي هو رمز من الرموز الدينية في الإسلام[٧١]، وليس القمر "**הירח**" أو "**הלבנה**"[٧٢]، كما أن ذكر قيدار هنا يشير إلى رغبة العرب في استمرار وجودهم في فلسطين وعدم الاستسلام، ولعل هذا يحيل القارئ مباشرة إلى الربط بين الصراع بين سارة وهاجر والصراع الإسرائيلي العربي، وبشكل أدق، فإن تاريخ كتابة القصيدة عام ١٩٦٩، أي في أوج حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل، يجعل هذه القصيدة الرمزية وثيقة أدبية تعبر عن الصراع الإسرائيلي المصري على وجه الخصوص.

٣- هاجر بين السلام والاستسلام

وتمضي الشاعرة أهوفا بت حنا[٧٣] **אהובה בת חנה** في قصيدتها "**במדבר** في الصحراء" نحو منحى آخر في حديثها عن "هاجر"، حيث بدت الشاعرة في بداية قصيدتها متعاطفة معها، ومتأثرة لما حدث لها ولابنها من طرد ومعاناة في الصحراء الجرداء، واستغلت الشاعرة ما شاع عنها بأنها إحدى أهم المطالبات بحقوق المرأة ومساواتها مع الرجل في المجتمع الإسرائيلي في العصر الحديث[٧٤]، فأخذت تعرض لما واجه المرأة من قهر في

العصور القديمة، باحثة معها ولها عن مخرج من هذا القهر. وكانت قصة هاجر وابنها كنزاً لأهوفا بت حنا تستمد منه ما يعينها على طرح فكرتها، غير أنها في الجزء الثاني من القصيدة تطالب "هاجر" بأن تستسلم لما حدث تحقيقاً للسلام وحقناً للدماء، وفي هذا إشارة واضحة تمام الوضوح للاستسلام وليس للسلام.

ولأن "هاجر" الأم أصبحت جزءًا ماضيًا من تاريخ قديم، ولأن البحث معني بفك الرمز الأدبي، فإن الاستسلام المقصود هنا هو استسلام ذرية "هاجر" أي استسلام العرب والفلسطينيين لما لحق بهم تحقيقاً للسلام.

تقول الشاعرة في مطلع قصيدتها:

במדבר	**في الصحراء**
אבקש את הגר	**سأطلب هاجر**
לשאול אצלה כיצד קרא הדבר[75]	**لكي أسألها كيف حدث هذا الأمر**

تخاطب الشاعرة بشكل مباشر شخصية هاجر، فتسألها في دهشة واستنكار، "كيف حدث هذا الأمر؟"، وكيف آلت أمورها إلى حد الطرد ومواجهة الموت في الصحراء، وكيف تبدلت الأحوال وتغيرت إلى هذه الدرجة من المرأة التي أنجبت لإبراهيم بعد سنين طويلة من الحرمان إلى المرأة المنبوذة المطرودة؟ وكيف تخلى إبراهيم عن ابنه إسماعيل بهذه السهولة؟ وكأن الشاعرة لا تعرف ما لحق بالعرب وبالفلسطينيين من معاناة! ولا تدري من المسئول الرئيس عن كل ما يلحق بهم من أهوال في العصر الحديث!

ثم تكمل الشاعرة حديثها مع هاجر فتناديها قائلة:

הגר, הגר,	**هاجر، هاجر،**
נועדת למדבר,	**لقد خُلقتِ للصحراء**
אל כלא אין כתלים;	**إلى سجن بلا جدران؛**
לא עצבונך יתם-	**لن ينتهي حزنك للأبد –**
רק גורלך נשלם	**فهو مصيرك النهائي**
בחב קדים.	**وتدفعين ثمن دين قديم**

הגר, הגר,	هاجر، هاجر،
נועדת למדבר.	لقد خُلقتِ للصحراء
אהבי את הרוח הרע	فلتحبي الرياح السيئة
אהבי את חמת החמה[76]	ولتحبي الشمس الحارقة

وتربط الشاعرة بوضح بين الأم "هاجر" في العصور القديمة وبين ذريتها في العصور الحديثة، وذلك بقولها "إن حزنك لن ينتهي للأبد" فما عانت منه قديماً يعاني منه أبناؤها حديثاً، فهذا هو المصير المحتوم للعرب وللفلسطينيين، فقد خُلقوا للصحراء حيث اعتادوا على ذلك، أما الجماعات اليهودية فلم تخلق ولم تعتد على ذلك، وكأن لسان حال الشاعرة يردد المقولة الصهيونية الزائفة "شعب بلا أرض لأرض بلا شعب" وعلى أبناء هاجر أن يستسلموا لتحقيق السلام المرجو! وعليهم أن يحبوا " الرياح السيئة" و " الشمس الحارقة ".

من هنا يتضح أن السلام في رأي أهوفا بت حنا إذاً هو سلام الأمر الواقع أو سلام الاستسلام الذي لجأت له الحركة الصهيونية على الدوام، ولا تزال إسرائيل تلجأ إليه حتى الآن، حيث تحقق أطماعها في السيطرة والاحتلال، ثم تخضع كل شيء بعد ذلك للتفاوض لتحقيق مآربها بشكل كلي أو بشكل جزئي حسب سير التفاوض القائم في الأحوال كلها على فرض الأمر الواقع .

لذلك ترى الشاعرة في ختام قصيدتها أن تحقيق السلام يحتاج إلى معجزة، تمامًا مثلما حدثت المعجزة قديمًا مع هاجر، فمن منظور الشاعرة لن يتحقق السلام إلا بظهور "ملاك الرب" لينقذ المنطقة و "الشعبين" من سفك الدماء، كما سبق أن ظهر لهاجر وابنها إسماعيل في الصحراء:

ותפן אחור ותרא	فإذا بها تلتفت للخلف وترى
מלאך עם חמת המים.[77]	ملاكًا معه قربة ماء.

وعلى الرغم من أن القصيدة في مجملها يبدو منها تعاطف الشاعرة مع شخصية هاجر، غير أنها تحمِّلها في ثنايا قصيدتها مسؤولية ما حدث، وذلك حين تراخت في الدفاع عن

حقوقها[٧٨]، فبقدر ما يحمله الحل الذي عرضته بت حنا من ظلم بيِّن واقع على الطرف العربي دون الإسرائيلي، إلا أنها تحاول تبرير ذلك بأن هاجر هي التي فعلت ذلك بنفسها حين قبلت أن تُستغل كأداة لإنجاب الأطفال دونما اعتراض أو إبداء للرأي، فقد أخطأت في حق نفسها حين تركت مصيرها في يد الآخرين يحددونه وفقاً لأهوائهم، وهو ما اقترفه أبناؤها في العصر الحديث حين تراخوا مرة بعد أخرى عن حقوقهم المسلوبة، فوضع الأبناء إذاً ليس سوى تسديد لهذا "الدين القديم"[٧٩].

وفجأة تفصل الشاعرة في القصيدة بين هاجر وبين ذريتها، فتتوهم أن هاجر بدت مقتنعة باقتراحات الشاعرة الاستسلامية وأنها سوف تحب "الرياح السيئة" و "الشمس الحارة"، وتخضع لكل ما يُقال لها، وجعلت الحديث على لسان "هاجر"، فتقول:

"אוהב את הרוח הרע,	سأحب الرياح السيئة،
אוהב את חמת החמה	سأحب الشمس الحارقة
שתוקתו הצחיחה של המדבר,	وصمت الصحراء المطبق
כי הוא אבי	فهي أبي
ואבי ילדי.	وأبو أبنائي

أما الأبناء فكان لهم منحى آخر، فرفضوا الاستسلام، وأبوا التغاضي عما ارتُكب في حقهم من جرائم، فلا يستطيعون التحمل لأكثر من هذا، بل اتهموها – أي الشاعرة – بالمكر والخداع، وهنا يتضح وقوع الشاعرة في تناقض المواقف، فقد انتقدت هاجر على صمتها، ثم تطالبها بقبول الوضع الراهن بما فيه من امتهان للإنسان الذي دافعت عنه في مطلع القصيدة، تقول أهوفا بت حنا مشيرة إلى رفض أبناء "هاجر" للاستسلام :

אך אותך שאת לא אוכל,	ولكني لا أستطيع تحملك أنت،
קול דובר בערמה,	أيها الصوت الماكر،
פעמים מבטן האדמה	"الذي أسمعه أحيانا" من باطن الأرض
פעמים מרעמת הרוח-	وأحيانًا من داخل صوت الرياح
צא ואמר מי אתה!"[80]	فلتخرج وتكشف عن ذاتك!"

ولأن الشاعرة تنتمي إلى اليسار الإسرائيلي[٨١] الذي يزعم كثيراً أنه في يعمل على تحقيق السلام الدائم، وإيجاد صيغة للتعايش بين العرب والإسرائيليين، فقد كشفت عن حقيقتها وعن حقيقة هذا اليسار الذي لا يختلف عن اليمين إلا في الوسائل التي يستخدمها كلاهما لترسيخ الاحتلال ورضوخ العرب لسياسة الأمر الواقع.

الخاتمة

وفي النهاية فإن البحث خلص إلى ما يلي :

- اعتادت الحركة الصهيونية من بدايتها وحتى الآن توظيف الدين توظيفا سياسياً، فيقوم أتباعها على تفسيره بما يخدم أفكارهم وأهدافهم، فيستعينون بالتراث الديني – بما له من قيمة ومكانة واحترام في قلوب البشر – بصرف النظر عن جنسهم أو ديانتهم – ليربطوا بينه وبين الجماعات اليهودية في العصر الحديث، وفي هذا الإطار فإنهم يستندون إلى أمرين

١) استثارة المشاعر الدينية لدى الجماعات اليهودية.

٢) استدرار عطف المجتمع الدولي احتراماً للموروثات الدينية.

ولا يعني ذلك أن الصهيونيين يتمسكون بأهداب الدين، بل على العكس من ذلك فإن الغاية عندهم تبرر الوسيلة حتى ولو كانت خداعاً وتضليلاً.

- أن هناك الكثير من القرائن التي تؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن جزءًا غير قليل من الصراع الإسرائيلي العربي يقوم على أسباب دينية وعقائدية وليس على عوامل استعمارية وصهيونية فحسب.
- نظر شعراء العبرية لسارة باعتبارها رمزًا لبني إسرائيل، بينما نظروا إلى هاجر باعتبارها رمزاً للعرب وللعروبة، ومن ثم جعلوا الصراع بين هاجر وسارة رمزًا تراثيًا قديمًا للصراع بين الصهيونيين والعرب.
- انقسم الشعراء حول الموقف من الصراع بين سارة وهاجر وما يحمل من رمزيته الصراع العربي الإسرائيلي في الحقبة المعاصرة إلى فريقين

١) فريق انحاز لشخصية سارة، فتعاطف معها، فبرر أفعالها وتصرفاتها ضد هاجر، في إشارة واضحة إلى تأييد هذا الفريق لكل الجرائم التي ترتكبها إسرائيل في حق الشعوب العربية بشكل عام والشعب الفلسطيني بشكل خاص. واجتهد هذا الفريق لتوظيف الدين والموروث توظيفاً سياسياً، وتمسك إلى ما لا نهاية بعقيدة الاختيار ومشاعر التفوق والنظرة الدونية للآخر، كما سيطر على هذا الفريق الخوف من نهضة عربية تهدد الدولة الإسرائيلية، وتسترد الحقوق المسلوبة، وقد وصل التعصب الصهيوني لدى هذا الفريق للدرجة التي رددوا عندها أن الجماعات اليهودية المهاجرة إلى فلسطين تعرضوا لمعاناة أكثر مما تعرضت هاجر وإسماعيل – أو قل العرب – ولذا فإنهم الأحق باهتمام المجتمع الدولي الذي يسيطر الغرب على مقدراته وقراءاته، وإذا كان الرب قد أرسل ملاكاً "بقربة ماء" لينقذ هاجر وابنها، فإنهم في حاجة لمثل هذا الملاك لينقذهم في العصر الحديث.

٢) فريق تعاطف مع شخصية هاجر، فرأى أن ما أقدمت عليه سارة من طرد لهاجر وابنها الصغير إلى الصحراء يعد تصرفاً لا يتناسب مع مكانة أمهات بني إسرائيل الأربع وأزواج الأنبياء وأخلاقهن، فيما يمكن أن يمثل الاتجاه الرافض للتوظيف السياسي للدين، وقد طرح هذا الفريق أسئلة مهمة في سياق الصراع الحديث بين الصهيونيين والعرب، منها: ماذا لو لم يقع من الأساس الصراع بين سارة وهاجر؟ وهل يحمل ذلك في طياته صراعاً بين الذريتين في العصر الحديث؟ مما يفصح عن أن الصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين بدأ في كتاب العهد القديم ذاته، ويؤكد على أن للدين نصيبًا في أسباب الصراع، كما يشير هذا الفريق إلى أن الصهيونية شوهت القيم الدينية العليا للديانة اليهودية، فرسخت في أذهان اليهود أن ما ارتكبته سارة في حق هاجر هو أمر طبيعي ومقبول.

- يشير الفريق المؤيد لهاجر والرافض لتسييس الدين إلى أن "هاجر" أو العرب قادرون على تصحيح الوضع واسترداد حقوقهم المسلوبة.
- هناك من الشعراء من يطالب باستسلام هاجر للأمر الواقع في إشارة إلى حتمية استسلام العرب، واختلط الأمر لدى هذا الفريق بين السلام والاستسلام.

الهوامش :

١ محمد خليفة حسن. البعد الديني للصراع الإسرائيلي العربي. مركز الدراسات الشرقية. جامعة القاهرة. ٢٠٠٥. ص ٧٢

٢ وردت قصة سارة في سفر التكوين في الاصحاحات (١١ : ٢٩ – ٣١)، (١٢ : ٥ – ١٧)، (١٦ : ١ – ٨)، (١٧ : ١٥ – ٢١)، (١٨ : ٥ – ١٥)، (٢٠ : ٢ – ١٨)، (٢١ : ١ – ١٢)، (٢٤ : ٣٦)، (٦٧)، (٢٥: ١٠ – ١٢)، (٤٩ : ٣١).

٣ وردت قصة سارة في سفر إشعيا (٥١ : ٢)

٤ وردت أجزاء من قصة سارة في رسالة بولس إلى أهل رومية (٤ : ١٩)، (٩ : ٩)، رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (٤ : ٢١ – ٣١)، الرسالة إلى العبرانيين (١١ : ١١)، رسالة بطرس الرسول الأولى (٣ : ٦).

٥ **האנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית. כרך עשרים ואחד "ל – לתת". הוצאת ספרית פועלים. ירושליים. 1988. עמ' 389.**

٦ أور كانت مدينة تقع في جنوب العراق عام ٢١٠٠ ق.م وكانت عاصمة للسومريين آنذاك، وقد أصبحت هذه المدينة إحنا أهم المدن السياحية في العالم حيث إنه في الفترة بين عامي ١٩٢٢ – ١٩٣٦ حدثت فيها عملية تنقيب كبيرة عثر فيها المنقبون على عدة معالم أثرية من بينها بيت إبراهيم عليه السلام الذي اجتذب العديد من السياح من مختلف بلدان العالم. للمزيد حول هذا الموضوع انظر: حامد الشطري. بيت إبراهيم الخليل يتحدى الفناء في قلب مدينة أور التاريخية. نقلًا عن جريدة صوت العراق

www.alshirazi.com/world/article/121.htm ٢٠١٤– ١١ – ٤ م١٢:٥٧

٧ سفر التكوين (١١ : ٣٠)

٨ للمزيد حول هذا الموضوع انظر:

Tammi J. Schneider. Mothers of Promise: Women in the Book of Genesis. Baker Academic. 2008. P25.

9 Ibid P26.

10 Richards, Lawrence, Sue Poorman. Women of the Bible: The Life and Times of Every Woman in the Bible. Thomas Nelson. Nashville. 2003. P 76.

11 Ibid P 76.

١٢ التكوين (١٦ – ٦)

١٣ التكوين (١٦ – ١٠،١١)

١٤ التكوين (٢١ – ١٢)

15 Tammi J. Schneider. Sarah: Mother of Nations. The Continuum International Publishing Group. New York. 2004. P 2.

١٦ ولد يتسحاق لمدان في مدينة مالينوب **מלינוב** بمقاطعة بولين في أوكرانيا عام ١٨٩٩، تلقى تعليماً دينياً تقليدياً في بيت عائلته، فعكف على دراسة العهد القديم وغيره من الكتب اليهودية المقدسة، ثم تلقى بعد ذلك تعليماً علمانياً، وظل لمدان يحظى بحياة أسرية مثالية ومستقرة حتى بلغ من العمر أربعة عشر عاماً، حيث اندلعت الحرب العالمية الأولي، حيث هوجمت المدينة التي كان يعيش فيها وتعرضت أسرة لمدان للضري الذي أدى إلى التفريق بين أفرادها وتشريدهم في أماكن كثيرة، فانقطع لمدان عن عائلته، ثم اندلعت الثورة البلشفية عام ١٩١٧، وساءت الأوضاع في روسيا، وأثناء تلك الفوضى وصل إلى يتسحاق لمدان نبأ وفاة أمه والذي أثر فيه كثيراً وأصابه بألم نفسي بالغ، فاتخذ قراره بالهجرة إلى فلسطين، فراراً من الوضع المتدهور في روسيا، وكان ذلك عام ١٩٢٠، وحين وصل لمدان إلى فلسطين انضم للحركة الطليعية "**התנועה החלוצית**"، وتأتي قصيدة "**מסדה** – ماسادا" لتكون أهم الأعمال الأدبية التي قدمها يتسحاق لمدان للأدب العبري، كما قدم أعمال أخرى مثل "**אגרות יצחק למדן** – رسائل يتسحاق لمدان" و"**שלשה מתוך שלשה מליונים** – ثلاثة من بين ثلاثة ملايين"، توفي عام ١٩٥٤.

١٧ أثرت الظروف التي أحاطت بلمدان أثناء نظمه لهذه القصيدة في كل المعاني التي ضمّنها بداخلها، فالقصيدة هي جزء من قصيدته الشهيرة "**מסדה** – ماسادا" والتي يعتبرها النقاد أهم الأعمال الأدبية التي قدمها لمدان للأدب العبري الحديث طبقًا لرأي الناقد الأدبي نحمان بن يهودا، فقد نظم لمدان هذه القصيدة في الفترة ما بين عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٤، أي بعد وصوله إلى أرض فلسطين مباشرة، ونظرًا لاصطدام لمدان بالواقع الجديد في فلسطين كغيره من المهاجرين آنذاك، ونتيجةً للمشكلات الجمة التي كان يعاني منها المستوطنون الجدد، حيث صُدموا آنذاك بالمعاناة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وضغوط المقاومة العربية وحصارها للنفسية اليهودية التي جعلتها تفقد الشعور بالأمان، وغير ذلك من أعباء الحياة، كل هذه الأسباب جعلتهم يشعرون بخداع الدعاوى الصهيونية لهم، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى حد ضيق العيش والتفكير في النزوح. للمزيد انظر

Ben Yehuda, Nachman. Masada Myth: Collective memory and Mythmaking in Israel. The University of Wisconsin Press. London. 1995. P220.

١٨ **מסדה** أو **מצדה** ماسادا هو اسم قلعة تقع أعلى القمة الصخرية عند البحر الميت على بعد ٢٥ كيلو متراً جنوب عين جدي، وتم اكتشافها عام ١٨٤٢م، وقد روج لها اليهود في العصر الحديث فقالوا إنها أحد أهم المواقع الأثرية في إسرائيل مما جعلها مزاراً سياحياً مهماً، وطبقاً لما ترويه الأسطورة اليهودية فإن قلعة ماسادا هي آخر قلعة سقطت في أيدي الرومان أثناء التمرد اليهودي ضد الامبراطورية الرومانية، وبدلًا من أن سلم اليهود الذين بداخلها أنفسهم للرومان، فضلوا الانتحار جماعيًا حتى لا يقع "اليهودي" أسيرًا في أيدي "الأغيار"، وبلغ عدد المنتحرين بداخلها طبقًا لرواية يوسيفوس حاولي ٩٦٠ شخصًا. للمزيد انظر منة الله زين

العابدين أبو خضرة. الانتحار الجماعي وانعكاساته في الشعر العبري الحديث: دراسة تحليلية نقدية. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب. جامعة القاهرة. ٢٠١١. ص٤٨.

١٩هذه التسمية تُطلق مجازًا في العهد القديم كناية عن المنطقة الصحراوية بالقرب من البحر الميت. للمزيد انظر **שגיב, דוד. מיליון עברי - ערבי. הוצאת מילון עברי-ערבי. ניויורק. 1985.**

٢٠ **למדן, יצחק. מסדה. מהדורה ששית. הוצאת דביר. תל אביב. תש"ז. עמ' נח, נט.**

٢١ يحيى محمد عبد الله إسماعيل. صورة السيدة هاجر في الشعر العبري الحديث. رسالة المشرق. المجلد السابع والعشرون. مركز الدراسات الشرقية. جامعة القاهرة. أكتوبر ٢٠١١. ص٥٢.

٢٢ للمزيد انظر زين العابدين أبو خضرة. تاريخ الأدب العبري الحديث. دار الثقافة. القاهرة. ٢٠٠٢. ص١٨٠، ١٨١.

٢٣**למדן, יצחק. מסדה. עמ' נט.**

٢٤ الأمثلة على ذلك كثيرة منها، أوري تسفي جرينبرج **אורי צבי גרינברג** في قصيدته **אל גבעת הגויות בשלג** إلى هضبة الجثث في الثلج، وقال فيها **"יש אלוהים והוא של גויים, יש אלוהים בעולם אבל אין אלוהים לישראל** يوجد إله ولكنه للأغيار، يوجد إله للعالم ولا يوجد إله لإسرائيل"، وأيضًا نلمس ذلك في أشعار كل من أبراهام شلونسكي **אברהם שלונסקי** وزلمان شنيئور **זלמן שניאור** ويهودا عميحاي יהודה עמיחי وغيرهم. للمزيد حول هذا الموضوع انظر جمال عبد السميع الشاذلي، نجلاء رأفت سالم. الشعر العبري الحديث: مراحله وقضاياه. الثقافة للنشر والتوزيع. ٢٠٠٨. ص١٦٩ – ٢٢٥.

٢٥ يحيى محمد عبد الله إسماعيل. صورة السيدة هاجر في الشعر العبري الحديث. ص٥٧.

٢٦المرجع السابق ص ٥٨.

٢٧ شاعرة إسرائيلية ولدت في فلسطين عام ١٩٣٦، تلقت في صغرها تعليمًا دينيًا تقليديًا، وحين أنهت دراستها الثانوية التحقت بالجامعة العبرية في القدس، ومنذ ذلك الوقت بدأت كتابتها الأدبية كما قامت بترجمة العديد من الأعمال الأدبية العالمية إلى العبرية، نالت العديد من الجوائز منها جائزة شلونسكي **פרס שלונסקי**، وجائزة لمدان **פרס למדן**، وجائزة رئيس الوزراء **פרס ראש הממשלה**، وجائزة بياليك **פרס ביאליק**، وجائزة إسرائيل **פרס ישראל**، تأثرت كثيرًا في كتاباتها بحاييم نحمان بياليك وناتان ألترمان، وليئة جولدبرج، أعمالها الأدبية تتنوع ما بين القصة والشعر وكتب الأطفال، ومنها "**חורף קשה** شتاء صعب" و"**מוות במשפחה** موت في الأسرة" و"**אהבה אמיתית** حب حقيقي"، وتوفيت عام ٢٠٠٥.

٢٨ **עיין שקד, מלכה. לנצח אנגנך: המקרא בשירה העברית החדשה – אנתולוגיה. ידיעות אחרונות וספרי חמד. ירושלים. 2005. עמ' 413.**

٢٩ استخدمت الشاعرة هنا صورة نبات الخروع باعتباره نباتًا سامًا للإنسان، لذا تمر عملية استخلاص زيت الخروع بالعديد من المراحل من أجل تنقيته من هذا السم ليصبح صالحًا للاستخدام الآدمي. للمزيد انظر **קיקון מצוי, מתוך אתר טבע הדברים:**
http://www.tevahadvarim.co.il/?p=18927 11-4-2015 12:16 PM

٣٠ שקד, מלכה. לנצח אנגנך: המקרא בשירה העברית החדשה – אנתולוגיה. עמ' 413.

٣١ שם עמ' 413.

32 Richards, Lawrence, Sue Poorman. Women of the Bible. P76.

٣٣ التكوين (٢١ : ١٢)

34 Gretz Bar-tov, Ariela. Parashat Chayei Sarah: Can we be identified without the other? [online] Available from Rabbanis for Human Rights http://rhr.org.il/heb/2012/11/10166/ [Accessed 5 June 2014]

٣٥ ميخال سنونيت شاعرة إسرائيلية ولدت في كيبوتس "عين هحورش **עין החורש**"، وظلت فيه حتى أنهت دراستها الثانوية، ثم التحقت بعد ذلك بالجيش الإسرائيلي، وبعد أن أنهت خدمتها العسكرية التحقت بجامعة تل أبيب وبدأت في دراسة الأدب والمسرح، كما عملت كصحفية في صحيفة "عل همشمير **על המשמר**"، نالت العديد من الجوائز منها جائزة "كيرن تل أبيب **קרן תל אביב**"، وجائزة رئيس الوزراء. من أعمالها الأدبية "**מה יש לי לעשות** ماذا بقي لي أن أفعله" و"**שירים ואוהבים** قصائد وأحبة".

٣٦ סנונית, מיכל. שפתיים לעשות דבש. 1973. עמ' 41. מתוך שחם, חיה. נשים ומסכות: מאשת לוט ועד סינדרלה – תדמיות שואלות וייצוגי הדמות הנשית בשירי משוררות עבריות. הוצאת הקיבוץ המאוחד. ת''א. 2001. עמ' 106.

P26..٣٧ Tammi J. Schneider. Mothers of Promise

٣٨ שחם, חיה. נשים ומסכות: מאשת לוט ועד סינדרלה. עמ' 106.

٣٩ يحيى محمد عبد الله إسماعيل. صورة السيدة هاجر في الشعر العبري الحديث. ص٦٦.

٤٠ שקד, מלכה. לנצח אנגנך: המקרא בשירה העברית החדשה – אנתולוגיה. עמ' 413.

٤١ למדן, יצחק. מסדה. עמ' נט.

٤٢ שקד, מלכה. לנצח אנגנך: המקרא בשירה העברית החדשה – אנתולוגיה. עמ' 410.

٤٣שקד, מלכה. לנצח אנגנך: המקרא בשירה העברית החדשה – אנתולוגיה. עמ' 413.

٤٤למדן, יצחק. מסדה. עמ' נט.

٤٥ ברטוב, אריאלנה גרץ. האם אנו ברי הגדרה ללא ''האחר'': דבר תורה לפרשת ''חיי שרה''. מתוך אתר שומרי משפט :רבנים למען זכויות האדם.
http://rhr.org.il/heb/2012/11/10166/ 11-4-2015 1:30 PM

٤٦ שקד, מלכה. לנצח אנגנך: המקרא בשירה העברית החדשה – אנתולוגיה. עמ' 413, 414.

47 Gretz Bar-tov, Ariela. Parashat Chayei Sarah: Can we be identified without the other? [online] Available from Rabbanis for Human Rights http://rhr.org.il/heb/2012/11/10166/ [Accessed 5 June 2014]

٤٨ שקד, מלכה. לנצח אנגנך: המקרא בשירה העברית החדשה – אנתולוגיה. עמ' 410.

٤٩ שם. עמ' 410.

٥٠ يوسف عوزير هو شاعر عبري ولد في القدس عام ١٩٥٢، درس الأدب العبري في جامعة حيفا، وهو الآن رئيس تحرير صحيفة "דימוי ديموي "خيال" **الأدبية، التي تهتم بنشر الأعمال الأدبية للمتدينين في إسرائيل، نال العديد من الجوائز منها جائزة رون أدلر وجائزة رئيس الوزراء، من أعماله الأدبية "עמק יזרעאל בירושלים** وادي يزرعئيل في القدس" و"**נשיקות מכחול** قبلات فرشاة".

٥١ שמואלוף, מתיתיהו. ארבעה טקסטים בקריאה מזרחית. מאמר מתוך אתר E-mego http://www.e-mago.co.il/e-magazine/4texts.html 30-6-2014 11:30 AM

٥٢ פרשת וירא تفسير "ظهر"، وهو أحد الأجزاء المختارة من أسفار التوراة الخمسة، تتم قراءته بشكل أسبوعي في حلقات لقراءة التوراة كل يوم سبت، ويبلغ عدد هذه التفسيرات التي يقرأها اليهود اثنين وخمسين تفسيرًا تقرأ على مدار العام كله، ويُقرأ التفسير الأول "**פרשת בראשית** تفسير بريشيت "بادئ ذي بدء" من بعد عيد المظلات مباشرة. أما بالنسبة لتفسير "ظهر" فيقع في (١٨:١ – ٢٢:٢٤) ويحتوي على سرد للضربتين الأوليين من بين الضربات العشر التي أصابت مصر من جراء عصيان العرعون لتعاليم موسى. للمزيد انظر **פרשה - קטע מחמשה חומשי תורה, שקוראים אותו בצבור בשבתות השנה. אינציקלופידיה יהודית – דעת : מכללת הרצוג לימודי יהדות.**
http://www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp?id1=2625 10-4-2015 11:50 AM

٥٣ יניב, בועז ושחורי יערה. לצאת: אסופה נגד המלחמה בעזה – מעין, אתגר, מארב, דקה, סדק, גרילה תרבות. מהדורה ראשונה. אתגר. ירושלים. 2009. עמ' 30.

٥٤ שנהר, עליזה. אהובות ושנואות: נשים במקרא, במדרש ובספרות העברית החדשה. פרדס. חיפה. 2011. עמ' 50.

55 For more information about the Jurish's population see the PCPS Palestinian Central Bureau of Statistics: The final results and summery of population, building, housing and Installations. Nablus. Ramallah. 2009. P50. [online] Available from PCPS (State of Palestine: Palestinian Central Bureau of Statistics) http://www.pcbs.gov.ps/ [Accessed 1 June 2014].

56 E. Sasely, Brent. Neglecting Israel's Arab Community. [online] Available from The Jerusalem Post http://www.jpost.com/Opinion/Op-Ed-Contributors/Neglecting-Israels-Arab-community-352842 [Accessed 1 june 2014]

٥٧ יניב, בועז ושחורי יערה. לצאת: אסופה נגד המלחמה בעזה. עמ' 30

٥٨ שמואלוף, מתיתיהו. ארבעה טקסטים בקריאה מזרחית. מאמר מתוך אתר E-mego http://www.e-mago.co.il/e-magazine/4texts.html 30-6-2014 11:30 AM

٥٩ יניב, בועז ושחורי יערה. לצאת: אסופה נגד המלחמה בעזה. עמ' 30.

٦٠ ولدت الشاعرة زروبافيلا ساسونكين في تل أبيب عام ١٩٢٩، وهي ابنة شاعر العبرية ألكسندر بان **אלקסנדר פן**، عاشت حياة متخبطة في طفولتها بسبب الخلافات العائلية المتكررة بين كل من الأب والأم, وبعد انفصال أبويها عاشت ساسونكين مع والدتها التي تزوجت من آخر, الأمر الذي أثر كثيرًا في كتابتها الأدبية بعد ذلك. في الخمسينيات تزوجت الشاعرة وانتقلت لتعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك أنجبت ابنًا أسمته يوناثان, وابنةً أسمتها هاجر. كتبت الشاعرة العديد من القصائد الشعرية التي يتضح من خلالها تأثرها الشديد بشخصية والدها وتنعكس من خلالها حياتها الشخصية، ومن أبرزها "**על שלושה פשעי דמשק** عن جرائم دمشق الثلاث" و"**בואו נשיר** هيا نغني"، توفيت عام ٢٠٠٤ في تل أبيب.

٦١שחם, חיה. נשים ומסכות. עמ' ١٢٠, ١٢١.

٦٢ **תנים** أي بنات آوي يعد وصفًا توراتيًا عن الخوف والفزع، حيث يشير صوت بنات آوى في أكثر من موضع في العهد القديم إلى الرعب والخوف منها ما ورد في سفر إرميا (٥٠ : ٣٩) "لِذلِكَ تَسْكُنُ وُحُوشُ الْقَفْرِ مَعَ بَنَاتِ آوَى، وَتَسْكُنُ فِيهَا رِعَالُ النَّعَامِ، وَلاَ تُسْكَنُ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ تُعْمَرُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ" وأيضا في سفر إشعيا (١٣ : ٢١ – ٢٢) "بل تربض هناك وحوش القفر ويملأ البوم بيوتهم وتسكن هناك بنات النعام وترقص هناك معز الوحش، وتصيح بنات آوى في قصورهم والذئاب في هياكل التنعم ووقتها قريب المجيء وأيامها لا تطول".

٦٣استخدام كلمة **כתונת** هنا توحي باستحضار الشاعرة لقصة سيدنا يوسف عليه السلام الذي كان على وشك أن يقضي عليه أشقاؤه بإلقائه في غيابات الجب ولكن الله أنقذه، فجاء إلى مصر وبلغ منزلة عالية، والأمر نفسه بالنسبة لسيدنا إسحق حيث كان على وشك أن يتم ذبحه ولكن الله أنقذه، وأصبح نسله من بعده في مرتبة عالية، فمن وجهة نظر اليهود فإنهم "شعب الله المختار".

٦٤ שם. עמ' 121, 122.

٦٥ פיית, קירין. עשה את הדבר הנכון, ולך לאבדון: על יצירותיו של יונתן פיין. מתוך אתר "הנשמה מילולית: סיפורי חיים, תהליכי כתיבה ויצירה"
http://heb.verbalresuscitation.com/ [Accessed 20-4-2015] [2:32 pm]

٦٦ ألكسندر بان هو شاعر عبري ولد في قرية روسية صغيرة بالقرب من المحيط المتجمد الشمالي عام ١٩٠٦، كان يعيش في بيت جده ثم انتقل بعد ذلك يبحث عن والده في المدن الروسية حتى وجده، شجعه والده على الكتابة الأدبية كثيرًا وهو في سن صغيرة، ثم انتقل بعد ذلك إلى موسكو عام ١٩٢٠ ليكمل تعليمه هناك، وفي العام ذاته نشرت أول قصيدة له في إحدى المجلات الأدبية الروسية، الأمر الذي أدى إلى تعرفه على العديد من الشعراء الروس وتأثره بهم، وفي عام ١٩٢٦ بدأ يكتب أشعار احتجاجية ضد السلطة الروسية، الأمر الذي أدى إلى سجنه، وتعرف في فترة اعتقاله هذه على فتاة صهيونية شجعته على الهرب وهاجرا سويًا إلى فلسطين عام ١٩٢٧، ومنذ ذلك الحين بدأ يتأثر بشعراء العبرية الكبار مثل بياليك وتشيرنحوفسكي، واستمر في كتابته الأدبية بعد الهجرة، وفي عام ١٩٤٧ أصبح معدًا لمجلة همآسيف **המאסף**. كما أصبح له عمود رسمي في

صحيفة دافار **דבר** لينشر فيها بعض أشعاره بشكل دوري. وظل ألكسندر بان محافظًا على أسلوبه الاحتجاجي في أشعاره للدرجة التي عبر بها أكثر من مرة عن اعتراضه على مبادئ الحركة الصهيونية، وتوفي عام ١٩٧٢، من أشهر أعماله الأدبية "**כולם כאחד** كلهم كشخص واحد" و"**לאורך הדרך** على طول الطريق" و"**לילות בלי גג** ليالي بلا سقف".

٦٧ يحيى محمد عبد الله إسماعيل. صورة السيدة هاجر في الشعر العبري الحديث. ص٦١.

٦٨ שחם, חיה. נשים ומסכות. עמ' 122.

٦٩ قيدار **קדר** اسم معناه "قدير" أو "أسود" أو "داكن البشرة" وهو اسم الابن الثاني من أبناء إسماعيل بن إبراهيم (التكوين ٢٥: ١٣)، وهو أب لأشهر قبائل العرب، وتعرف المنطقة التي عاشوا فيها أيضًا باسم قيدار، وتقع في المنطقة جنوب شرق إسرائيل، وكانوا في الغالب رعاة متبدين يعيشون في خيام لونها أسود أو تبدو سوداء من دخان النار التي يشعلونها للتدفئة ليلًا، إلا أن بعضهم كان متمديناً يسكن المدن، وهم الحضر، وكان المنتمون لهذه القبيلة أصحاب مواشي كثيرة، كما كانوا بارعين في الحرب ولاسيما في الرمي بالقوس، وكان يحاربهم الآشوريون، وقد نكّل بهم نبوخذنصر حين زحف بعسكره إلى بلادهم وخربها. للمزيد انظر

אלגביש, דוד. פרשת חיי שרה: ואלה שמות בני ישמעאל. דף שבועי של הפקולטה למדעי הרוח. מס' 1094. קרן הנשיא לתורה ולמדע. אוניברסיטת בר אילן. תשע"ה. עמ' 1.

٧٠ שחם, חיה. נשים ומסכות. עמ' 122.

٧١ שם. עמ' 121.

٧٢ يحيى محمد عبد الله إسماعيل. صورة السيدة هاجر في الشعر العبري الحديث. ص٦١.

٧٣ أهوفا بت حنا هو التوقيع الأدبي للشاعرة أهوفا رودنيك ليفكيفكر **אהובה רודניק ליפקיפקר**، وهي شاعرة عبرية ولدت عام ١٩٢٣، وهاجرت إلى إسرائيل عام ١٩٥٨، وباشرت في كتابة أعمالها الأدبية بعد ذلك، ومن أشهرها "**גבעול הרוח** ساق الرياح"، و"**כופר** فدية"، و"**כפר** قرية"، وتوفيت عام ١٩٩٤.

٧٤ שנהר, עליזה. אהובות ושנואות. עמ' 42.

٧٥ שחם, חיה. נשים ומסכות. עמ' 119.

٧٦ שחם, חיה. נשים ומסכות. עמ' 117, 118.

٧٧ שם. עמ' 119.

٧٨ שנהר, עליזה. אהובות ושנואות. עמ' 42.

٧٩ يحيى محمد عبد الله إسماعيل. صورة السيدة هاجر في الشعر العبري الحديث. ص٧٠.

٨٠שחם, חיה. נשים ומסכות. עמ' 118, 119.

٨١ שם. עמ' 119.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١) المصادر العربية

– القرآن الكريم.

– الكتاب المقدس.

٢) المصادر العبرية

- **תנ"ך : תורה נביאים כתובים.**
- **יניב, בועז ושחורי יערה. לצאת: אסופה נגד המלחמה בעזה – מעין, אתגר, מארב, דקה, סדק, גרילה תרבות. מהדורה ראשונה. אתגר. ירושלים. 2009**
- **למדן, יצחק. מסדה. מהדורה ששית. הוצאת דביר. תל אביב. תש"ז.**
- **סנונית, מיכל. שפתיים לעשות דבש. דביר. ירושלים. 1973.**
- **שחם, חיה. נשים ומסכות, מאשת לוט ועד סינדרלה – תדמיות שואלות וייצוגי הדמות הנשית בשירי משוררות עבריות. הוצאת הקיבוץ המאוחד. 2001.**
- **שנהר, עליזה. אהובות ושנואות: נשים במקרא, במדרש ובספרות העברית החדשה. פרדס. חיפה. 2011.**
- **שקד, מלכה. לנצח אנגנך: המקרא בשירה העברית החדשה – אנתולוגיה. ידיעות אחרונות וספרי חמד. ירושלים. 2005.**

ثانياً: المراجع

١) المراجع العربية

أ- كتب

– جمال عبد السميع الشاذلي، نجلاء رأفت سالم. دراسات في الصهيونية. الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة. ٢٠٠٦.

– ـــــــــ. الشعر العبري الحديث: مراحله وقضاياه. الثقافة للنشر والتوزيع. ٢٠٠٨.

– زين العابدين أبو خضرة. تاريخ الأدب العبري الحديث. جزءان دار الثقافة. القاهرة. ٢٠١٤.

- صلاح فضل. نبرات الخطاب الشعري. مكتبة الأسرة. سلسلة الأعمال الفكرية. القاهرة. ٢٠٠٤.

ب- رسائل جامعية

- أحمد عبد اللطيف حماد. تناول الشخصية الدينية الواردة في الكتاب المقدس في الشعر العبري الحديث. رسالة دكتوراة غير منشورة. كلية الآداب جامعة عين شمس. ١٩٧٩.

ج- مقالات

- عبد الحكيم راضي. التراث بين القطيعة والتواصل. المؤتمر الرابع لإقليم شرق الدلتا الثقافي. الزقازيق. ٢٠٠٥.
- محمد خليفة حسن. البعد الديني للصراع الإسرائيلي العربي. مركز الدراسات الشرقية. جامعة القاهرة. ٢٠٠٥.
- يحيى محمد عبد الله إسماعيل. صورة السيدة هاجر في الشعر العبري الحديث. رسالة المشرق. المجلد السابع والعشرون. مركز الدراسات الشرقية. جامعة القاهرة. أكتوبر ٢٠١١.

٢) المراجع العبرية

- **דנאל, יצחק. מאבקן של נשים לכתוב בשפה העברית. מאמר ברבעון "אתרוג" – רבעון למורים ולגננות במגזר הממלכתי דתי. גליון 38 טבת תשס"ח. דצמבר 2008**
- **סימון, אוריאל. בקש שלום ורדפהו: שאלות השעה באור המקרא, המקרא באור שאלות השעה. מהדורה שנייה. ידיעות אחרונות, ספרי חמד. תל אביב. 2002.**
- **שחם, חיה. נשים ומסכות, מאשת לוט ועד סינדרלה – תדמיות שואלות וייצוגי הדמות הנשית בשירי משוררות עבריות. הוצאת הקיבוץ המאוחד. 2001.**

- שנהר, עליזה. אהובות ושנואות: נשים במקרא, במדרש ובספרות העברית החדשה. פרדס. חיפה. 2011.

٣) المراجع الإنجليزية

- Ben Yehuda, Nachman. Masada Myth: Collective Memory and Mythmaking in Israel. The University of Wisconsin Press. London. 1995.
- Gelb, Ignace. Household and Family in Early Mesopotamia: In State and Temple Economy in the Ancient Near East. Peeters.Leuven. 1979.
- Jeansonne, Sharon Pace. The Women of Genesis. Fortress. Minneapolis. 1990.
- Richards, Lawrence, Sue Poorman. Women of the Bible: The Life and Times of Every Woman in the Bible. Thomas Nelson. Nashville. 2003.
- Robertson, Martin. Faces of Feminism. Oxford press. Oxford. 1981.
- Tammi J. Schneider. Sarah: Mother of Nations. The Continuum International publishing Group. New York. 2004.
- Tammi J. Schneider. *Mothers of Promise: Women in the Book of Genesis*. Baker Academic. 2008.
- Meroz, Christianne. Five Women: Sarah, Hagar, Rebekah, Rachel, Leah. Translated by Dennis Wienk.Oregon, Wipf and Stock. Eugene. 2012.

ثالثاً: الموسوعات

١) موسوعات باللغة العربية

– دائرة المعارف الكتابية. المجلد الرابع. دار الثقافة. القاهرة. ١٩٩٩.

٢) موسوعات باللغة العبرية

- אינציקלופדיה מקראית. אוצר הידיעות על המקרא ותקופתו. חלק א. הוצאת מוסד ביאליק. ירושלים. 1950.
- האנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית. הוצאת ספרית פועלים. ירושליים. 1988.

رابعاً: شبكة المعلومات الدولية

أ- مواقع باللغة العربية

– جريدة صوت العراق

ب- مواقع باللغة العبرية

- אתר טבע הדברים:

http://www.tevahadvarim.co.il/?p=18927 11-4-2015 12:16 PM

- ברטוב, אריאלנה גרץ. האם אנו ברי הגדרה ללא "האחר": דבר תורה לפרשת "חיי שרה". מתוך אתר שומרי משפט :רבנים למען זכויות האדם.

http://rhr.org.il/heb/2012/11/10166/ 11-4-20151:30 PM

- פרשה - קטע מחמשה חומשי תורה, שקוראים אותו בצבור בשבתות השנה. אינציקלופידיה יהודית – דעת : מכללת הרצוג לימודי יהדות.

http://www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp?id1=26251 0-4-2015,11:50 AM

- שמואלוף, מתיתיהו. ארבעה טקסטים בקריאה מזרחית. מאמר מתוך אתר

Emego: http://www.e-mago.co.il/e-magazine/4texts.html 30-6-201411:30 AM

ج- مواقع باللغة الإنجليزية

- E. Sasely, Brent. Neglecting Israel's Arab Community. [online] Available from The Jerusalem Post http://www.jpost.com/Opinion/Op-Ed-Contributors/ Neglecting-Israels-Arab-community-352842 [Accessed 1 june 2014]
- Gretz Bar-tov, Ariela. *Parashat Chayei Sarah: Can we be identified without the other?* [online] Available from Rabbanis for Human Rights http://rhr.org.il/heb/2012/11/10166/ [Accessed 5 June 2014]
- Oster, Marcy. *Sephardi leader Yosef: Non-Jews exist to serve Jews*. [Online]. Available from: JTA (The Global Jewish News Source) http://www .jta.org /2010/10/18/news-opinion/israel-middle-east/sephardi-leader-yosef-non-jews- exist-to-serve-jews [Accessed 22 May 2014]
- PCPS Palestinian Central Bureau of Statistics: The final results and summery of population, building, housing and Installations. Nablus. Ramallah. 2009. [online] Available from PCPS (State of Palestine: Palestinian Central Bureau of Statistics) http://www.pcbs.gov.ps/ [Accessed 1 June 2014].